



كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الأسرة المسلمة في ضوء القرآن

دكتور

حسن محمد باجودة



كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الأسرة المسلمة في ضوء القرآن

دكتور

حسن محمد باجودة

السنة الثالثة عشرة

رجب ١٤١٥ هـ - العدد ١٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد :

فهذه الدراسة وعنوانها (الاسرة المسلمة في ضوء القرآن) من بين
اهدافها تبين الاحوال الهنية للاسرة المسلمة التي تؤمن بالله تعالى ربا
وبالاسلام ديننا وبالمصطفى صلى الله عليه وسلم نبيا، وبالقرآن
الكريم، الذي تبينه السنة النبوية المطهرة، منهاجا ودستورا.
«خصوصا وان الحملات الاعلامية والتضليلية تزداد ضراوة في الايام
الاخيرة» كما جاء في الخطاب اللاحقي لمعالى الامين العام لرابطة
العالم الاسلامي الدكتور احمد محمد علي - حفظه الله - الموجه الى
في ١٤١٥/٧/٤ هـ. بشأن التنبيه والتحذير من الهجمات الشرسة من
قبل الخصوم ضد الاسرة المسلمة ووجوب التصدي لتلك الهجمات
وتفنيدها.

ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الاول للتشريع في الاسلام فقد
تمت بفضل الله تعالى هذه الدراسة المتعلقة بهذا الكتاب العزيز كما
يبدو من العنوان.

ولما كانت السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع فقد اعتمدت تبين
معاني الآيات الكريمات على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في
المقام الاول وقد جاء في الآية الكريمة الرابعة والاربعين من سورة

النحل قول الحق جل وعلا: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

إن منهج التربية الإسلامية كما يتجلى من القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم يهدف إلى إيجاد الإنسان الصالح المصلح الذي ينفع الله تعالى به العباد والبلاذ باذنه جل وعلا. وهذا الإنسان الصالح المصلح ذكرا أو أنثى هو عماد الأسرة المسلمة التي تشكل اللبنة الكبرى الأولى في الجماعة المسلمة ابتداءً، وفي الأمة المسلمة انتهاءً. (وهذه الأمة المسلمة لم تُخرج لمصلحتها الشخصية، وإنما أُخرجت للناس بأمر من الله تعالى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى).

ولما كان خصوم هذا الدين يحاولون بوسائل شتى إفساد منهج التربية الإسلامية وذلك بالعمل على صرف الإنسان المسلم عن الصراط المستقيم إلى اتباع سبل الشيطان الرجيم والنفس الأمارة بالسوء لذلك كان في هذه الدراسة محاولة لفضح هذا العمل اعتماداً على التجربة العملية والممارسة الشخصية إضافة إلى القراءة.

ولما كانت عناية القرآن الكريم بأفراد الأسرة المسلمة، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، كبيرة وشاملة، فقد كانت منا في هذه الدراسة محاولة لجذب الشيء إلى نظيره والمعنى إلى شبهه. ولما كانت عناية القرآن الكريم كبيرة وشاملة أيضاً بالعديد من المسائل التي ينبغي على الإنسان السوي أن ينسجم معها ويتناغم فقد كان بين يدي هذه الدراسة تمهيد يشير إلى هذه المسائل التي لها دورها باذن الله تعالى في سبيل إيجاد المسلم الصالح المصلح.

لكل ماسبق كانت المعالم البارزة في هذه الدراسة قد اندرجت تحت هذه العناوين .

(١) تمهيد .

(٢) الحث على بناء الاسرة المسلمة .

(٣) اخذ الحذر من مخططات الخصوم لهدم الاسرة المسلمة .

(٤) بعض الوسائل لحماية الذرية .

(٥) حماية عفاف الاسرة المسلمة .

(٦) حماية حقوق الاسرة المسلمة .

وفي الختام أسأل الله تعالى ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم انه جل وعلا اكرم مسؤول واعظم مأمول .

﴿ربنا لا تؤخذنا ان نسينا او اخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير الى عفوره

د . حسن محمد باجودة

استاذ الدراسات القرآنية البيانية

وعميد كلية اللغة العربية

بجامعة ام القرى / مكة المكرمة

يوم الجمعة ١٤ رجب ١٤١٥ هـ

الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٩٤ م

(١)

تقریر

توطئة للحديث عن الاسرة المسلمة في ضوء القرآن الكريم نود ان
ان نشير الى بعض المسائل في هيئة نقاط :

أولاً : خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والارض في ستة ايام ،
الله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقتها . ونحن حينما نجمع - مثلاً - بين
الآيات الكريمات التي تحدثت عن هذه المسألة في كل من سورة
فصلت والنازعات نستطيع ان ننهي الى اكبار رأي ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما في توزيع الايام الستة على عملية خلق السماوات
والارض ذات المراحل الثلاث . جاء عن ابن عباس ان الله تعالى :
(خلق الارض بأقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ، ثم استوى
الى السماء فسواهن سبع سماوات ، ثم دحا الارض بعد ذلك . فذلك
قوله : والارض بعد ذلك دحاها) ^(١) جاء في سورة النازعات ^(٢) قوله
تعالى : ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها .
وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والارض بعد ذلك دحاها . أخرج
منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ وجاء
في سورة فصلت ^(٣) قوله تعالى : ﴿قل انكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين وتجعلون له انداداً . ذلك رب العالمين . وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة ^(٤) أيام سواء

(١) تفسير الطبري ٢٩/٣٠ وانظر ص ٣٠ .

(٢) الآيات ٢٧ - ٣٣ .

(٣) الآيات ٩ - ١٢ .

(٤) المعنى باجماع المفسرين : في تمام اربعة أيام . وانظر صفحتي ١٦٠ و ١٦١ من كتاب القرآن
الكريم والتوراة والإنجيل وعدم فطنة المؤلف موريس بوكاي للبلاغة بالحذف في الآية الكريمة
وبالتالي لم يرد على الذين وهموا أننا بصدد ثمانية أيام لا ستة أيام .

للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها . وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم ﴿ وبهذا تكون عملية خلق الأرض دون تهيئة لسكنى الانسان تمت في يومين اثنين ، وتكون عملية خلق السماوات بعد ذلك في يومين اثنين ، وتكون عملية تهيئة الارض لسكنى الانسان تمت في يومين اثنين تمام ستة أيام والله اعلم . (١) .

ثانيا : خلق الله تعالى السماوات والارض اكبر من خلق الناس بنص القرآن الكريم قال تعالى (٢) : ﴿لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ .

ثالثا : خلق الله تعالى الجن والانس لعبادته جل وعلا وحده لا شريك له . قال تعالى (٣) : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ .

رابعا : خلق الله تعالى الجن اولا ثم الانس على نحو مايتبين من قوله تعالى (٤) : ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ .

خامسا : مفهوم العبادة في الاسلام واسع الى ابعد الدرجات . فكل عمل صالح بمقياس الاسلام يقوم به الانسان وهو يريد به وجه ربه الاعلى يعتبر عبادة ، بما في ذلك لقمة الطعام التي يضعها الزوج في فم زوجته على نحو مايتبين من مثل هذا الحديث المتفق عليه والذي

(١) انظر كتاب : « تأملات في سورة النازعات » ٧٧ - ٧٩ للمؤلف .

(٢) سورة غافر ٥٧ .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ .

(٤) سورة الحجر ٢٦ ، ٢٧ .

رواه الإمام النووي في رياض الصالحين^(١) عن أبي اسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري رضي الله عنه، احد العشرة المشهود لهم بالجنة، رضي الله عنهم قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: يارسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ماترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأصدق بثلاثي مالي؟ قال: لا. قلت: فالشطر^(٢) يارسول الله؟ فقال: لا. قلت: فالثلث يارسول الله؟ قال: الثلث والثلث كثير - أو كبير - إنك أن تذر ورثتك اغنياء خير من أن تذرهم عالة^(٣) يتكففون الناس^(٤) وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتي ماتجعل في في امرأتك^(٥)، فثمة شرطان ينبغي توافرها كي يكون العمل مقبولا بإذن الله تعالى بأن يكون خالصا وصوابا، وكما يقول ابن تيمية^(٦): (فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتي يكون خالصا صوابا. والخالص ان يكون لله، والصواب ان يكون على السنة).

سادسا: أراد الله تعالى لآدم عليه السلام أن يكون خليفة في الأرض كي يعمرها هو وذريته وفق منهج الله تعالى. وحينما أعلم

(١) ص ٦ و ٧ وانظر استنتاج ابن الجوزي من الحديث في صيد الخاطر ٢٧.

(٢) فالشطر بالنصب والرفع: أي النصف.

(٣) عالة: أي فقراء.

(٤) يتكففون الناس: أي يمدون اليهم أيديهم بالسؤال.

(٥) أي في فمها.

(٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٧.

رب العزة الملائكة بأنه جل وعلا جاعل في الأرض خليفة كان منهم اشفاق أن يفسد جنس الإنسان في الأرض ويسفك الدماء بينما هم مخلصو العبادة لله تعالى ولا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وإذا كان الملائكة قد تجلت فيهم - بإذن الله تعالى - العبادة فإن آدم عليه السلام قد تجلى فيه - بإذن الله تعالى - العلم . ودليلا على فضل العلم على العبادة أمر الله تعالى الملائكة ان تسجد لآدم عليه السلام سجود تحية وتعظيم . وفي هذه المعاني جاء قول الحق جل وعلا في سورة البقرة^(١) : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ .

سابعاً : اذا كان الملائكة مفردى الارادة لا يصدر عنهم إلا الخير ، وكان الإنسان ثنائي الإرادة يصح أن يصدر عنه كل من الخير والشر ، فإن الانسان يستطيع بإذن الله تعالى وحينما يتقى الله تعالى ما استطاع أن يسمو إلى درجة الملائكة ، بل إن من العلماء من ذهب إلى أن الانسان الذي يتقى الله تعالى حق تقواه يستطيع بفضل الله تعالى أن

(١) الآيات ٣٠-٣٣ .

يتقدم الملائكة^(١) والمعروف أن ذرية آدم عليه السلام لم يسلبهم الله تعالى شيئاً من النعم التي اختص الله تعالى بها آدم عليه السلام . وقد قال عز من قائل^(٢) : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ .

ثامناً : بعد ان أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجود تحية وتعظيم سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس اللعين الذي كان من الجن بنص القرآن الكريم^(٣) والذي فسق عن امر ربه جل وعلا فأبى واستكبر وكان من الكافرين واستنكف وهو الذي خلقه الله تعالى من نار أن يسجد لآدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى من طين . إن اللعين يرى أن النار التي خلقه الله تعالى منها أسمى من الطين الذي خلق الله تعالى منه آدم عليه السلام . وهكذا جمع اللعين بين معصية الله تعالى من ناحية وبين حسده لآدم عليه السلام من ناحية أخرى . لذا تعهد اللعين باغواء آدم عليه السلام والناس اجمعين إلا عباد الله تعالى المخلصين ومع ان علم الله تعالى قد سبق الى ماسوف يقوم به اللعين من سوء فإن رب العزة إنما يحاسب عباده بأعمالهم وليس بعلمه السابق ، لذا فقد امهل الله تعالى اللعين الى وقت النفخة الاولى التي يموت بسببها الخلائق بإذن الله تعالى ، ولم يلب جل وعلا طلب اللعين بأن يمهل الى وقت النفخة الثانية التي يحيي بسببها الخلائق بإذن الله تعالى لان هذه

(١) انظر هنا مثلاً صيد الخاطر لابن الجوزي ٥٤ .

(٢) سورة الاسراء ٧٠ .

(٣) سورة الكهف ٥٠ .

النفخة الثانية يرتبط بها الخلود في حين يرتبط بالنفخة الاولى الموت .
لقد كان اللعين حريصا على الخلود .

تاسعا : اذا كان رب العزة قد خلق آدم عليه السلام من طين فإن
زوجه حواء عليها السلام قد خلقها الله تعالى من ضلع من اضلاعه ،
من شقه الأيسر كما روى عن ابن عباس^(١) جاء في سورة النساء^(٢)
قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً . وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

عاشرا : أمر الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام أن يسكن هو
وزوجه حواء عليهما السلام الجنة ، وأذن لهما أن يأكلا منها حيثما
شاءا ، ونهاهما عن مجرد الاقتراب من شجرة بعينها ، وحذرهما من
الشيطان الرجيم العدو اللدود لهما ان يخرجهما من الجنة .

حادي عشر : بإذن الله تعالى الذي أراد أن يجعل في الأرض
خليفة تمكن الشيطان الرجيم من إغواء آدم وحواء عليهما السلام
بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن مجرد الاقتراب منها ،
وبذلك عصى آدم عليه السلام ربه جل وعلا وغوى ، ثم اجتبه ربه
جل وعلا فتاب عليه وهدى ، بأن ألهمه ربه جل وعلا كلمات يقولها
آدم وزوجه حواء عليهما السلام . والكلمات التي تلقاها آدم عليه
السلام من ربه جل وعلا هي التي جاءت في هذه الآية الكريم من

(١) تفسير الطبري ٥٠ / ٤ .

(٢) الآية ١ .

سورة الأعراف^(١) قال تعالى : ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وإلى هذه الكلمات في آية سورة الأعراف الكريمة أشارت هذه الآية من سورة البقرة^(٢) : ﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ . إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

ثاني عشر : غاية اللعين الخسيسة القريبة من إغراء آدم وحواء عليهما السلام بالأكل من الشجرة أن ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما وعوراتهما التي يسوء كلا من الذكر والأنثى السويين انكاشفها . وإلى هذه الغاية القريبة للعين أشار قوله تعالى في سورة الأعراف^(٣) : ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا^(٤) إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وغاية اللعين الخسيسة البعيدة من إغراء آدم وحواء عليهما السلام بالأكل من الشجرة أن يخرجهما من الجنة والنعيم اللذين هما فيه . وإلى هذه الغاية البعيدة للعين أشار قوله تعالى في سورة الأعراف^(٥) : ﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ . فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ .

ثالث عشر : إذا كان اللعين قد أخرج بإذن الله تعالى آدم وحواء

(١) الآية ٢٣ .

(٢) الآية ٣٧ .

(٣) الآية ٢٠ و ٢١ .

(٤) أي أقسم لهما بالله .

(٥) الآية ٢٢ .

عليهما السلام من الجنة بباعث معصية الله تعالى والاستنكاف أن
يمثل لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام سجد تحية وتعظيم
لأن اللعين يحسد آدم عليه السلام فإن المعصية بباعث الكبر استحق
اللعين من اجلها أن يؤمر بالهبوط من المنزلة التي هو فيها في الملكوت
الأعلى^(١) قال تعالى^(٢): ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر
فيها فأخرج إنك من الصاغرين﴾ ثم إن تكفل اللعين بإغواء بني آدم
بباعث الحسد لآدم عليه السلام قد استحق من أجله اللعين أن يؤمر
بالخروج من الجنة مذبذوما معيبا^(٣) مدحورا مطرودا^(٤) قال تعالى^(٥):
﴿قال اخرج منها مذبذوما مدحورا. لمن تبعك منهم لأملأن جهنم
منكم أجمعين﴾.

رابع عشر: بشأن هذه الآية الكريم من سورة الأعراف^(٦) قال
تعالى: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر
ومتاع إلى حين﴾ جاء في تفسير ابن كثير^(٧): (والعمدة في العدو
آدم وإبليس ولهذا قال تعالى في سورة طه^(٨): ﴿قال اهبطا منها
جميعا﴾ الآية، وحواء تبع لآدم.

خامس عشر: بعد أن هبط آدم وحواء عليهما السلام الى الارض

(١) أنظر مثلاً تفسير ابن كثير ٢٠٤/٢ وتفسير الطبري ٩٨/٨ والكشاف ٥٤١/١ والجلالين
والبحر المحيط ٢٧٤/٤ وتفسير القرطبي ٢٦٠٩.

(٢) سورة الأعراف ١٣.

(٣) تفسير الطبري ١٠٣/٨ وتفسير ابن كثير ٢٠٥.

(٤) تفسير الطبري ١٠٣/٨ وتفسير ابن كثير ٢٠٥/٢.

(٥) سورة الأعراف ١٨.

(٦) الآية ٢٤.

(٧) ٢٠٦/٢.

(٨) الآية ١٢٣.

بإذن الله تعالى الذي بث منهما رجالا كثيرا ونساء وتكونت الأمة
 كانت هذه الأمة على دين واحد هو دين الاسلام لله رب العالمين .
 وبمرور الوقت بدأت هذه الأمة تختلف وتتفرق بها السبل فظهرت
 الحاجة إلى إرسال رسول يعيد من تفرقت بهم السبل عن سبيل الحق
 إلى الجادة، فكان نوح عليه السلام أول رسل الله تعالى كما قال ابن
 عباس (١) لحديث الشفاعة، فإن الناس يقولون له : أنت أول الرسل (٢)
 وكان محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف
 المرسلين . قال تعالى (٣) : ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
 رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليما﴾ وإلى اختلاف
 الناس بعد ان كانوا أمة واحدة على دين واحد هو دين الاسلام لله
 رب العالمين (٤) وَبَعَثَ اللهُ تَعَالَى النَّبِيِّينَ وَإِنْزَالَ الْكُتُبِ مَعَهُمْ أَشَارَتْ
 هذه الآية الكريمة من سورة البقرة (٥) قال تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً
 وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ . وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ . فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا
 اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ . وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
 وإن القول في آية سورة البقرة : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ
 النَّبِيِّينَ﴾ الآية يفسره قول الحق جل وعلا في سورة يونس (٦) :
 ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا . وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
 لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ .

(١) تفسير الطبري ١٩٤ / ٢ وتفسير ابن كثير ٢٥٠ / ١ .

(٢) تفسير القرطبي ٨٤٠ . طبعة الشعب القاهرة .

(٣) سورة الأحزاب ٤٠ .

(٤) الكشف ٢٦٩ / ١ .

(٥) الآية ٢١٣ .

(٦) الآية ١٩ .

سادس عشر: بعث الله سبحانه وتعالى جميع النبيين والمرسلين بدين الاسلام. وللفظ الإسلام معنيان اثنان عام وخاص. ومعنى الإسلام العام الاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك. جاء خطابا للمصطفى صلى الله عليه وسلم في سورة الانبياء^(١) قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وقد بعث الله تعالى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف المرسلين بالصورة الاخيرة لدين الاسلام وللحنيفية السمحة دين ابراهيم عليه السلام أبي الأنبياء. ودين الاسلام الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ناسخ لكل دين سواه. وحينما يطلق لفظ الإسلام بمعناه الخاص يراد به دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم، واكملة جل وعلا ورضيه لعباده وأتم به النعمة عليهم. جاء على لسان نوح عليه السلام الاشارة إلى دين الإسلام بمعناه العام في خطابه عليه الصلاة والسلام قومه في قوله عز من قائل في سورة يونس^(٢): ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ وجاءت الإشارة إلى دين الإسلام بمعناه الخاص في الآية الكريمة التي نزلت يوم الجمعة بعرفات في حجة الوداع، قال عز من قائل^(٣) ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(٤).

(١) الآية ٢٥.

(٢) الآية ٧٣.

(٣) سورة المائدة ٣.

(٤) بينا معنى الاسلام العام والخاص في كتابنا: أجوبة على اسئلة، في اثناء الجواب على السؤال: ماهي الظروف التي وُلِدَ فيها الاسلام ١١-١٨.

سابع عشر: حينما بلغت الانسانية مرحلة الرشد ولاءمتها الرسالة الخاتمة بعث الله تعالى خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الى الناس أجمعين. ثبت في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى. نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث الى قومه وبعث الى الناس عامة^(١) وقد جاء النص على عالمية رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم في العديد من السور المكية التي نزلت قبل الهجرة جاء في سورة الفرقان^(٢) قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ وجاء في سورة سبأ^(٣) قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وجاء في سورة الأعراف^(٤) قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ وهذه الرسالة العالمية الخاتمة التي بعث الله تعالى بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يلائمها الكتاب السماوي الخاتم الواحد الذي تكفل الله تعالى بحفظه الى يوم

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٥.

(٢) الآية ١.

(٣) الآية ٢٨.

(٤) الآية ١٥٨.

الدين دون سواه من الكتب السماوية التي أوكل الله سبحانه وتعالى مهمة حفظها الى العلماء الذين خانوا الأمانة في مجموعهم . جاء في حق القرآن الكريم قول الحق جل وعلا^(١) : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقول الحق جل وعلا^(٢) : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ وإن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم مبينة للقرآن الكريم والمراد بالسنة النبوية المطهرة أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته . والمراد بتقريراته صلى الله عليه وسلم ما أقر فعله دليلا على أنه حلال . ومن ذلك ان الضب قد أكل على مائدته عليه الصلاة والسلام فعلم أن أكله حلال على الرغم من كون نفس المصطفى صلى الله عليه وسلم تعاف أكل الضب . والمراد بصفاته صلى الله عليه وسلم شمائله عليه الصلاة والسلام . ومن ألطف ما ألف في هذا الجانب كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي . ويشتمل كتاب الشمائل المحمدية على ثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا^(٣) وقد سخر الله سبحانه وتعالى جيشا من العلماء خدموا السنة المطهرة خدمة بالغة ومحصولها ونفوا الزيف عنها وميزوا صحيحها^(٤) . وهذه السنة النبوية المطهرة هي المبينة للقرآن الكريم . وقد قال عز من قائل^(٥) : ﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ .

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٨ و ٤٩ .

(٣) الشمائل المحمدية ٣ .

(٤) انظر هنا الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ٩٣ فما بعدها .

(٥) سورة النحل ٤٤ .

ثامن عشر : إِنَّ تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وإنَّ تسخيرهِ
 جل وعلا جيشاً من العلماء لخدمة السنة النبوية المطهرة نجم عنهما
 المعرفة الكاملة لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبذلك تسنى
 اتخاذ المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة مصداقاً لقول الحق
 جل وعلا في سورة الاحزاب^(١) : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة
 حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ إن سيرة
 محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم من بين سيرة سائر النبيين
 والمرسلين عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه هي السيرة
 الوحيدة في الدنيا الكاملة غير الناقصة، العلمية، الموثقة، التاريخية
 المتواترة. إنا نعرف كل صغيرة وكبيرة عن هذا الانسان الكامل إلى
 الحد الذي نعرف أنه عليه الصلاة والسلام توفي وليس في رأسه
 ولحيته عشرون شعرة بيضاء^(٢) وقد شاء الله تعالى لشخصية المصطفى
 صلى الله عليه وسلم ان تتسع لكل انسان يحرص على محاكاتها، في
 حدود الطاقة، في ذلك الجانب الذي تخصص فيه هذا الانسان أو
 ذاك. كن من شئت وسوف تجد في شخصية المصطفى صلى الله عليه
 وسلم أسوتك الحسنة. كن على سبيل المثال، رب اسرة، ونحن بصدد
 الحديث عن الأسرة المسلمة في ضوء القرآن الكريم، واتخذ منه صلى
 الله عليه وسلم أسوتك الحسنة وحاول جهد الطاقة أن تحاكي
 المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي تتسع حياته لكل انسان، وان
 تتأسى به في هذا الجانب الضيق الذي تخصص أنت فيه. إنك سوف

(١) الآية ٢١.

(٢) الشماثل المحمدية ١٤.

تبين ان النفس التي باركها الله تعالى هي فقط تلك التي وفقها جل وعلا كي تتمكن من محاكاة المصطفى صلى الله عليه وسلم في بعض نواحي ذلك الجانب الضيق المتخصصة فيه. كن على سبيل المثال زوجا وأبا وجدا وغلاما وشابا ورجلا وعائل أسرة. كن من شئت في هذه الاسرة المسلمة فإنك واجد في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتك الحسنة. وفي غير مجال الاسرة كن من شئت فإنك واجد في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتك الحسنة. كن داعية ومعلما ومربيا وإماما وقاضيا وحاكما ومحكوما وطالب علم، وقائدا، ومنتصرا، ومنهزما - لا سمح الله - وتاجرا، ومبرم معاهدات، وفارسا مغوارا، وعالم نفس. كن من شئت داخل نطاق الاسرة او خارجه وابحث في هذه الدنيا الطويلة العريضة عن الشخصية الوحيدة التي هي أهل لأن تتخذ أسوة حسنة والتي يمكن ان تتخذها أسوة حسنة فإنك سوف تنتهي إلى أن هذه الشخصية هي شخصية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم دون سواه. وإنه ربما سبق إلى روع بعضهم أن في الإمكان اتخاذ موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام أسوة حسنة ولكن الحقيقة أن ذلك غير ممكن. إنا بشأن موسى عليه السلام لا نعلم إلا مولده وشبابه وهجرته وزواجه وبعثته ثم قتاله المشركين إلى أن لقيناه مرة أخرى وهو يرتعش من الكبر وقد أدركه الهرم وبلغ من العمر عشرين ومائة سنة^(١) وإنا بشأن عيسى عليه السلام نبين أن البحث العلمي اخيرا يقرر أنا لا نكاد نعرف عن عيسى عليه السلام إلا ما له علاقة فقط بالأيام الخمسين الأخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم^(٢).

(١) الشماثل المحمدية ١٤ .

(٢) انظر مثلا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن الندوي ١٣ والرسالة المحمدية ٥٧ و٥٨

واليك هذا الاقتباس من دائرة المعارف البريطانية عام ١٩٧٥ :

It is difficult to write with certainty an authentic life of Jesus.. None of the sources of his life and work can be traced to Jesus himself. He did not leave a single known written word.

وهذه هي الترجمة: إنه من الصعوبة بمكان أن تكتب عن عيسى سيرة يطمأن إلى صحتها، وإنه ليس شئ من المصادر المتعلقة بحياته وعمله ما يمكن تتبع سنده إلى عيسى نفسه. إنه لم يترك كلمة واحدة مكتوبة^(١).

ثم ان عيسى عليه السلام متخصص في الروحانيات وحدها، ومعروف ان الحياة روح ومادة ولهذا اتسم اتباعه عليه الصلاة والسلام بالتخصص في الروحانيات الى حد الرهبة التي ماكتبها الله تعالى عليهم إلا ابتغاء رضوان الله تعالى. أما الغالبية العظمى من أتباعه عليه الصلاة والسلام التي شق عليها التخصص في الروحانيات فقد كان بعدها عن الروحانيات وانغماسها في متاع الدنيا شديدين.

ثم إن زعم الغلاة من اتباعه عليه الصلاة والسلام بأنه ابن الله: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا﴾^(٢) قد جعل من الصعوبة بمكان إتخاذه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة.

وحينما تكون سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم - وهي المصدر

(١) أشرنا الى هذا المعنى في دراستنا بعنوان: من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ٥٠ - ٥٥.

(٢) سورة الكهف ٥.

الثاني للتشريع - هي المبنية لمعاني القرآن الكريم، فذلك معناه أن الحديث في أي موضوعات القرآن الكريم معناه الحديث في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم المبنية للقرآن الكريم. ولا يكاد العجب ينتهي من أولئك المحسوبين على الإسلام الذين يعطلون سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم أو يريدون تعطيلها. إن هؤلاء يصدق فيهم قول الحق جل وعلا^(١): ﴿فَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ إن الذي يريد أن يعطل سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم يشبه ذلك الذي يريد أن يدخل قصرا ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلي الذي يستطيع به وحده أن يفتح الباب^(٢).

والمعروف أن القرآن الكريم ينفرد بين سائر معجزات النبيين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين بأنه يجمع بين كونه المعجزة والمنهج معا، ومن هنا كان التحدى بالقرآن الكريم وحده من بين سائر الكتب السماوية، والمعروف كذلك أن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم هي المبنية للقرآن الكريم.

تاسع عشر: منهج القرآن الكريم التربوي يهدف إلى إيجاد الإنسان الصالح. ومن هذا الانسان الصالح، ذكرا وأنثى، تتألف الأسرة المسلمة. فلتتحول إلى الحديث في عناصر موضوع: الأسرة المسلمة في ضوء القرآن.

(١) سورة الحج ٤٦.

(٢) الاسلام على مفترق الطرق ٩١.

(٢)

البحث على بناء الأسرة المسلمة

إن الإسلام دين الفطرة يعطي الحق والخير نصيبهما الموفور من العناية ولا يهمل الجمال والزينة بل يعطيها حقهما في ضوء تفضيل دين الإسلام وكل دين سماوي الحق والخير على الجمال والزينة . ولما كان انجذاب الجنس إلى الجنس الآخر أمراً فطرياً فقد أكد الإسلام وهذبه ووجهه الوجهة الصحيحة ووضع الضوابط الكفيلة بالوصول بهذه الغريزة إلى نهاية المطاف وبر الأمان . ومن هذه الضوابط الحث على الزواج وتهئية الوسائل لتحقيقه من أجل بقاء النوع الانساني الذي خلقه الله تعالى من أجل عبادته تعالى وإفراده جل وعلا بهذه العبادة . لقد وضع كل من القرآن الكريم والسنة النبوية هذه الضوابط . إن رب العزة زين للناس حب الشهوات ابتداءً بالنساء والبنين . قال تعالى^(١) : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ . ويلاحظ أن الآية الكريمة تنص على الشهوات . والشهوة : نزوع النفس الى ما تريده^(٢) وتبدأ بالنساء تنبيهاً على أن ميل الذكر إلى الأنثى فطري ويتقدم غيره من الشهوات . وإن الشيء ذاته يقال عن ميل الأنثى الى الذكر . وبعد تقديم النساء في الذكر يأتي ذكر الثمرة أعني البنين . ومن الطبيعي ان تتأخر الثمرة في الذكر أعني البنين عن الحرث أعني النساء ، خاصة وأنا أمام لفظ الشهوات في الآية الكريمة . وبشأن الترتيب العجيب للشهوات في الآية الكريمة «يصح القول إن هذه الشهوات رتبت وفق أهميتها من

(١) سورة آل عمران ١٤ .

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني : «شها» ٢٧٠ .

ناحية، وإمكان تحقيقها من ناحية أخرى»^(١) والآية الكريمة في سبيل وضع الضوابط أمام هذه الشهوات، بقصد أن يأخذ المسلم بطريقة صحيحة حظه من الدنيا، تنص على أن هذه الشهوات متاع الحياة الدنيا وأن الله تعالى عنده حسن المآب بمعنى المرجع. وبشأن لفظ المتاع يرتبط به الاستمتاع من ناحية، وقصر المدة من ناحية أخرى. يقال متع النهار متوعا ارتفع قبل الزوال^(٢).

وبقصد أن يأخذ المسلم حظه من الدنيا دون إسراف تصف هذه الآية الكريمة من سورة النساء^(٣) الزوجات المؤمنات بمجموعة من الصفات والنعمت. قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم. فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ وصفة الصلاح تشمل مجموعة من النعمت في طاعة الله تعالى من إيمان وتقوى وإحسان وما إلى ذلك. والقانتات الطائعات للأزواج. والحافظات للغيب هو ما يغيب ويستتر من حقوق الزوج التي أوتيت عليها الزوجة من فرج ومال للزوج وولد وقول وما إلى ذلك^(٤) وإن هذه المعاني السامية والصفات الحسنة التي يراد منها تهذيب الشهوات وتوجيهها الوجهة الصحيحة تؤكدتها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في انتقاء الزوجة ذات الدين في المقام الأول: في صحيح مسلم: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفائدة هذا التمثيل أن الجنة

(١) تأملات في سورة آل عمران ٥٧.

(٢) أنظر القاموس: «متع».

(٣) الآية ٣٤.

(٤) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة النساء ١٤٧ - ١٦٤ (مخطوط).

لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها، وأن النار لا يُنْحَى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء). أخرجه البخاري ومسلم. ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء^(٢) وفي سنن بن ماجه عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن. ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين. ولأمة سوداء خرماء^(٣) ذات دين أفضل^(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك^(٥) قوله: وجمالها، يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة غير الديّنة غير الجميلة الديّنة^(٦) نعم لو تساوتا في الدين فالجميلة أولى. ويلتحق بالحسنة الذات الحسنة الصفات. . قوله: تربت يداك، أي لصقتا بالتراب، وهي كناية عن الفقر. وهو خبر بمعنى الدعاء، لكن لا يراد به حقيقته^(٧).

(١) تفسر القرطبي ١٢٧٠. طبعة الشعب القاهرة.

(٢) المصدر السابق ١٢٧١.

(٣) خرماء: مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة الأذن.

(٤) تفسر القرطبي ١٢٧١.

(٥) فتح الباري ١٣٢/٩ حديث رقم ٥٠٩٠ وسنن أبي داود ٢/٢١٩ والنسائي ٦/٦٨.

(٦) في الأصل: «إلا أن تعارض الجميلة غير الديّنة غير الجميلة الديّنة».

(٧) فتح الباري ١٣٥/٩.

والزواج من سنن النبيين . قال تعالى ^(١) : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية . وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله . لكل أجل كتاب ﴾ فليس محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل في الزواج والانجاب ^(٢) ومن آيات الله تعالى التي علينا أن نتفكر فيها أن خلق الله سبحانه وتعالى لنا من أنفسنا أزواجا نجد السكينة والطمأنينة عندهن وجعل بين الزوج وزوجه مودة ورحمة . قال تعالى ^(٣) : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وإن من صفات عباد الرحمن أنهم يسألون الله تعالى أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين . قال تعالى ^(٤) : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ واللطيف في القول : « قرة أعين » أنه ذو علاقة بالقر ^(٥) بمعنى البرد . إنه بسبب الحرارة الغالبة على جزيرة العرب تتأذى العين . وحينما يكون الجو باردا ويهب النسيم البارد العليل ترتاح العين وينعكس ذلك الارتياح على القلب بشرا ، وعلى الصدر انشراحا ، وعلى النفس سعادة ، ومن هنا قيل : قرة العين وبرد الفؤاد . وإن القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين يجيء فيه القول : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ وفق طرائق العرب الذين نزل القرآن بلسانهم في أقوالهم ^(٦) ومن نعم

(١) سورة الرعد ٣٨ .

(٢) درسنا الآية الكريمة في تأملات في سورة الرعد ٢١٢ .

(٣) سورة الروم ٢١ .

(٤) سورة الفرقان ٧٤ .

(٥) القر يضم القاف البرد .

(٦) درسنا الآية الكريمة في : تأملات في سورة الفرقان ١٧٥ ، الطبعة الأولى و ٢٢٨ الطبعة الثانية

الله تعالى على عباده ثمرة للزواج البنون والحفدة. قال تعالى (١):
﴿والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين
وحفدة ورزقكم من الطيبات. اقبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم
يكفرون﴾ وإن الذين لا يجدون مايتزوجون به من مهر ونفقة وما
إلى ذلك عليهم أن يستعففوا عن الزنا حين يغنيهم الله تعالى من
فضله بالزواج. قال تعالى (٢): ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
حتى يغنيهم الله من فضله. والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم
فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم. ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا.
ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ وقد جاء في
صفات عباد الرحمن أنهم لا يزنون. قال تعالى (٣): ﴿والذين لا
يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا
يزنون. ومن يفعل ذلك يلق أثاما. يضاعف له العذاب يوم القيامة
ويخلد فيه مهانا. إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات. وكان الله غفورا رحيمًا. ومن تاب وعمل
صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا﴾ وعلى الجماعة أن تتعاون من أجل
زواج الآيامي وهم من الجنسين من لا زوج له. قال تعالى (٤):
﴿وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم. إن يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله. والله واسع عليم﴾ وقد نهى الإسلام عن
التبتل بمعنى الانقطاع عن العبادة لأن الحياة تخلق بجناحين من

(١) سورة النحل ٧٢.

(٢) سورة النور ٣٣.

(٣) سورة الفرقان ٦٨ - ٧١.

(٤) سورة النور ٣٢.

الروح والجسد. يقول أنس ابن مالك رضي الله عنه: جاء ثلاثة رهط^(١) إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال آخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني^(٢).

وهكذا يتبين أن الإسلام هو دين الفطرة، ودين الوسطية في كل الأمور. إن رب العزة فطر الإنسان على ميله واستعداداته لإفراد الله تعالى بالعبادة وجعله جسدا يأكل الطعام ويحتاج إلى إشباع غرائزه. وإن فطرة الله تعالى الإنسان على إفراده جل وعلا بتبينها في مثل قوله عز من قائل^(٣): ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا. فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ. ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا. كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ وإن حاجة الإنسان لتحقيق رغائبه وإشباع غرائزه

(١) الرهط من ثلاثة إلى عشرة ويقال إنهم على بن ابي طالب وعبدالله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون. فتح الباري.

(٢) فتح الباري ١٠٤/٩ حديث رقم ٥٠٧٣ وأنظر صحيح مسلم ١٧٥/٩ و١٧٧ في حديث النهي عن التبتل والمراد به الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعا الى عبادة الله. النووي ١٧٦.

(٣) سورة الروم ٣٠-٣٢.

وفي المقدمة المرسلون نتبينها في مثل قوله عز من قائل^(١) : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فأسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ وقوله عز من قائل^(٢) : ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون . وكان ربك بصيرا﴾ وإلى الوسطية التي ارتضاها الله تعالى لهذه الأمة أشار قوله تعالى^(٣) : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾^(٤) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عبدالله ، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا^(٥) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة حق على الله عز وجل عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء . والناكح الذي يريد العفاف . والمجاهد في سبيل الله^(٦) .

(١) سورة الانبياء ٧ و ٨ .

(٢) سورة الفرقان ٢٠ .

(٣) سورة البقرة ١٤٣ .

(٤) درسنا الآية الكريمة في : تأملات في سورة البقرة ٨٠١ - ٨١٠ .

(٥) فتح الباري ٩/ ٢٩٩ حديث رقم ٥١٩٩ .

(٦) سنن النسائي ٦/ ٦١ .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة^(١).

ويقول ابن الجوزي^(٢): (اللذات كلها بين حسي وعقلي . فمنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح . وغاية اللذات العقلية العلم).

(١) سنن النسائي ٦/٦١ .

(٢) صيد الخاطر ١٤٠ .

(٢)

أخذ الحذر من مخططات الخصوم
لهدم الأسرة المسلمة

حينما نتأمل ما يذيعه أولئك الذين يدعون بالخبراء والمتخصصين بشأن الذرية وعدد سكان الكرة الأرضية، وبخاصة ما يدعى بالنصائح التي توجه إلى المسلمين على جهة الخصوص لانتمائهم إلى ما يدعى بالعالم الثالث النامي أو المتخلف فإننا نتبين أن ما يقال يصطدم في مجموعه بقول الحق جل وعلا^(١): ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها. كل في كتاب مبين﴾ والحقيقة أن هذه التصريحات التي توزع والنصائح التي توجه تدل في مجموعها على ضعف الايمان وعلى قلة حظ القوم من نور الوحي السماوي. ونحن بحاجة إلى أن ننقاش هذه الأقوال وإلى أن يكون لنا موقف يستظل بالوحي ويهتدى بنوره، قرآنا كريما وسنة نبوية مطهرة، وقد جاء في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم قول الحق جل وعلا^(٢): ﴿والنجم إذا هوي. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو الا وحي يوحى﴾.

إن من الكلام المعار المكرور القول بأن العالم مقبل على مجاعة وأن الموارد الغذائية في الكرة الأرضية لا تتكافأ مع الانفجار السكاني فعليكم أيها المسلمون على جهة الخصوص أن تحدّدوا النسل ومن هنا تبين أن الدول الغنية المتحضرة المتقدمة في مجال الصناعة تتبرع دون مقابل بتقديم وسائل منع الحمل بحيث إنك في

(١) سورة هود ٦.

(٢) سورة النجم ١-٤.

شبه القارة الهندية مثلاً وعلى حد قول بعض الاساتذة من تلك القارة لي: إنك في تلك القرى لن تعدم بعض الاطفال الذين يحاولون عبثاً بأفواههم نفخ بعض وسائط منع الحمل الجلدية التي تقوم بدور شبيه بالعزل ظناً من أولئك الأطفال الأبرياء أن ما يحاولون نفخه ويستعصى عليهم من جنس لعب الأطفال التي تنفخ بالأفواه أو بالآلات! وبحيث إنك لا يكاد ينتهي عجبك من دولة كالسويد يأخذ عدد سكانها في النقصان باطراد ومع ذلك فإنها تبرم اتفاقاً مع دولة الباكستان لتزويدها بوسائل منع الحمل في الوقت الذي تشكو فيه السويد من قلة الشباب وكثرة الشيوخ والعجائز^(١) وبذلك يصدق في حقها المثل: رمتني بدائها وانسلت. وبحيث إنك تنظر مثلاً إلى دول جنوب شرقي آسيا التي كانت بلاداً إسلامية كي تتبين أن الاستعمار كي يفقد تلك البلاد شخصيتها الإسلامية بالأجناس غير المسلمة، وبخاصة الصينية، فأصبح المسلمون أقلية هامشية في سنغافورة مثلاً حيث إن عدد المسلمين أصبح الآن يقل عن عشرين بالمائة، في الوقت الذي أحتفظ فيه شخصياً ببعض الطوابع البريدية التي عليها صورة الحاكم المسلم والمكتوب عليها باللغة العربية: «سنغافورة» بل إن المسلمين الآن في سنغافورة أخذت العناصر غير المسلمة فيها تشعر بالرتاء لهذه الشريحة من المجتمع المحسوبة على سنغافورة والتي يفتك بها الفقر والجهل في المقام الاول فنبهت على سوء حال المسلمين هنالك من

(١) أنظر مثلاً: حركة تحديد النسل ٦٣ لأبي الأعلى المودودي.

أجل مد يد المساعدة اليهم وانقاذهم! ولا زلت أذكر أحد الأدلة على هذا التخلف حينما التقيت في أحد شوارع سنغافورة في إحدي رحلاتي بشخص يبدو عليه ذل الفاقة فتعمدت أن أعرف حقيقته فعرفت أنه مسلم وأن اسمه ابراهيم . وبحيث إنك حينما تزور اليوم ماليزيا التي انفصلت عنها ولاية سنغافورة وكونت حكومة مستقلة تفاجأ بأن هذ البلاد التي كانت إسلامية يكاد يشكل المسلمون فيها نسبة خمسين في المائة لسبيين اثنين جوهريين . السبب الأول هو أن الاستعمار غمر البلاد المسلمة بغير المسلمين وخاصة الصينيين الذين يمسون بزمام الاقتصاد في ماليزيا ففي يدهم زهاء ثمانين في المائة من اقتصاد البلاد^(١) . والسبب الآخر هو ان المسلمين قد انظلت عليهم وحدهم وللأسف خدعة تحديد النسل التي لم يلتزم بها الآخرون وبخاصة الصينيون الذين تناسلوا كالآرانب .

إني أضع الحقائق المستمدة من التجارب الشخصية كي نفطن نحن المسلمين لما يرايد بنا قبل فوات الأوان وقد قال عز من قائل^(٢) :
﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ .

وإنه في الوقت الذي يعلن فيه المغفلون بأن النمو الغذائي في الكرة الأرضية لا يتمشى مع الانفجار السكاني تقوم الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين بحرق فائض القمح^(٣) وتقوم

(١) هذه المعلومات مستقاة من أفواه المسؤولين والإحصائيات فإن الباحث حكم في مسابقة كوالالمبور العالمية للقرآن الكريم منذ عام ١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الحشر ٢ .

(٣) حركة تحديد النسل ١١٠ .

البرازيل بتعبيد الأرصفة بفائض البن . وإن أعجب ما قرأت في إحدى الصحف في أثناء كتابة هذه السطور مما لا أكاد أصدق هو أن بعض الولايات الهندية تسكب في المحيط كميات هائلة من اللبن! وبشأن أستراليا، أصغر القارات وأكبر الجزر، والتي يسكنها حاليا زهاء ستة عشر مليون شخص منهم زهاء ثلاثمائة ألف مسلم^(١) والتي قدر لي أن أسافر إليها مرات عدة ومنها سنة دراسية كاملة قضيتها استاذًا زائرًا بجامعة سدني قسم الدراسات السامية وذلك في السنة الدراسية ١٣٩٥/١٣٩٦ هـ فإن الخبراء يقولون إنها تتسع بسهولة ويسر لمئات الملايين من السكان . وقد قدر لي في السنة التي قضيتها استاذًا زائرًا أن أعاصر فترة الكساد الاقتصادي العالمي وقد انعكس ذلك على تجارة اللحوم . ولأن ما يحصل عليه التاجر ثمنًا للخروف الواحد يوازي الثمن الذي يدفعه حتي يصل الخروف إلى الجهة التي توصله إلى المستهلك فقد تقرر قتل كل الحيوانات رميا بالرصاص إيثارا للراحة وضمانا لثبات الأسعار في الوقت الذي يموت فيه الملايين في انحاء المعمورة جوعا . وفي إحدى رحلاتي البرية بين سدني وملبرن في جنوب أستراليا تبينت أن ما بين ثلاثمائة كيلو متر إلى أربعمائة كيلومتر بمحاذاة المحيط إلى الأعماق يعتمد المزارعون والرعاة على المطر وحده . وفي المزارع التي زرت تبينت أن المزارعين يكتفون من الفواكه التي يقطفون للاستهلاك والتجارة بأحسن الموجود على الشجرة ويتركون الباقي على الشجر حتي يسقط على الأرض بطبعه ويتحول سمادا!

(١) بناء على الإحصائيات الأخيرة .

والمعروف أن ١٠٪ فقط من مجموع المساحة الأرضية هو المزروع مع أن ٧٠٪ منها صالح للزراعة، أي من الممكن أن يزرع ٦٠٪ منها بعد^(١) يضاف إلى ذلك أن الإنسان لو استغل أرضه بالمهارة التي يستغلها الفلاح الهولندي لأصبح إنتاجه الزراعي من المساحة المزروعة وحدها حاليا يكفي لعشرة أضعاف العدد الحالي لسكان العالم، بحيث يعيشون جميعا على مستوى يوازي المستوى المرتفع في غرب أوروبا^(٢).

إن المشكلة الحقيقية تكمن في كون الإنسان المتحضر ماديا اليوم والذي بيده دفة الحضارة المادية ومقاليدها انسانا غير موصول بالله تعالى وعبدًا للدينار والدرهم وحدهما، ولا يبالي في سبيل هذه الغاية الخسيسة أن يتخذ أي وسيلة بما في ذلك إزهاق الأرواح وقتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق. وأود أن أذكر في هذا الصدد بعض مآرايت وسمعت وقرأت لأستراليين. في أحد المؤتمرات الثقافية التي عقدت في مدينة هوبارت في جزيرة تسمانيا في جنوب قارة استراليا قام احد الإخوة المشاركين معنا في المؤتمر وألقى سؤالاً غاية في الأهمية وهو أين السكان الأصليون الذين كانوا يسكنون جزيرة تسمانيا والذين لا يوجد منهم الآن شخص واحد؟ لقد كان الجواب بأن الشخص الأبيض قد أبادهم عن بكرة أبيهم. ومما قيل في المؤتمر إن الشخص الأبيض كي يتخلص من البقية الباقية من السكان كان يزود السكان الأصليين بالأغطية التي

(١) حركة تحديد النسل ١١٠.

(٢) نفسه ١٢١.

ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . إن ظاهرها أنها تقي السكان الأصليين أذى البرد والقر وإن باطنها محشو بجرثومة الجدري الذي فتك بالبقية الباقية من السكان الأصليين . وإنما تعمدت استعمال القول : «البقية الباقية من السكان الأصليين» لأن الحكومة وقت العمل على إبادة السكان الأصليين كانت تدفع مكافأة لمن يقتل أولئك السكان الأصليين . وحينما كنت استأذا زائرا بجامعة سدني حوَّكْت ماكان يدفع للقاتل مكافأة على قتله واحدا من سكان استراليا الأصليين ، وكان سعر الدولار الأسترالي آنذاك أربعة ريالات سعودية ، فكانت المكافأة مقابل قتل كل برئ من السكان الأصليين زهاء مائة ريال سعودي . ولا يكاد ينقضي عجبك حينما تعلم أنه في ذلك العام الذي درست فيه في جامعة سدني سمح لأول شخص من سكان أستراليا الأصليين بأن يلتحق بالجامعة!

ولعلك تقول إنك تشاهد دائما على التلفاز مناظر لسكان أستراليا الأصليين الأبروجيين الذين لا يزالون أحياء يرزقون ، وهذا صحيح لأن الرجل الأبيض أراد أن يحتفظ بعينات من هؤلاء السكان فيما يشبه المستعمرات أو الحظائر أو المتاحف البشرية من أجل التنويه بالحضارة المادية المزدهرة التي أقامها هنالك الإنسان الأبيض لأن أكبر مبرر في نظر الرجل الأبيض لما فعل بأولئك ويفعل هو المقارنة بين حال السكان الأصليين وبين حضارة الرجل الأبيض .

وما الذي يفعله الرجل الأبيض حاليا بسكان هذه المتاحف البشرية؟ من المعروف أن في أستراليا نظاما رفيع المستوى من

الضمان الاجتماعي بحيث إن المضطر لعدم العمل تعطيه الدولة أسبوعيا مبلغا من المال يغنيه عن ذل السؤال، وذلك في مقابل الضرائب الباهظة التي تأخذها من الأغنياء. وقد آريد لسكان أستراليا الأصليين أن يكونوا عاطلين عاجزين عن العمل مستحقين للضمان الاجتماعي! وما الذي يفعله أولئك البسطاء بالضمان الاجتماعي؟ إنهم ينفقونه في السكر والعريضة! وقبل أن يحصل العاطل على الضمان الاجتماعي يكون عليه لتاجر الخمر ديون أكثر مما يحصل عليه من الضمان الاجتماعي كله! وهنا تفتح شياطين الإنس والجن لهم أبواب الشرور والموبقات. وهكذا لا يكاد سكان أستراليا الأصليون يفيقون من السكر كي يفكروا جيدا في حالهم ومآلهم ومايراد بهم.

لقد أخبرني الأستاذ الفاضل الدكتور إشفاق أحمد، وهو بحمد الله تعالى من أكثر رجال الدعوة الإسلامية في مدينة سدني وأكثرهم نشاطاً، بل في قارة أستراليا، بأنه التقى ببعض هؤلاء السكان الأصليين الذين ذكروا له الكلام الذي كتبه في الأسطر السابقة، وأفادني بأنهم شكوا إليه حالهم والدموع تنهمر من عيونهم انهمارا، وهم بحاجة إلى من ينتشلهم من وهدتهم وينقذهم من ورطتهم وليس لهؤلاء سوى رجال الدعوة الإسلامية الذين يطيب لنا أن نواصل تذكيرهم بحال هؤلاء السكان الأصليين وأمثالهم من الذين قتل الرجل الأبيض رجالهم، وهتك أعراض نسائهم، واستولى على ممتلكاتهم. إن هؤلاء وأمثالهم مجال خصب للدعوة الإسلامية. واكتفي بهذه الائمة.

وما لنا نذهب بعيدا إلى قارة أستراليا ونحن امام مأساة من أكبر مآسي الشعوب الإسلامية والإنسانية وهي مأساة شعب البوسنة والهرسك المسلم . إن تصميم الخصوم على إبادة هذا الشعب لأنه شعب مسلم في أوروبا ، ولا يراود وجود أي دويلة إسلامية في أوروبا وفي غير أوروبا . وأذكر بهذه المناسبة ملاحظة مهمة في هذا الشأن أعلنتها في أحد المؤتمرات الثقافية الإسلامية التي عقدت في أمريكا الأمريكي المهتدي الأستاذ الدكتور توماس ايرفنج والذي تسمى بالحاج تعليم على وصاحب ترجمة معاني القرآن الكريم التي طبعت في الأردن عام ١٩٩٢ م . إن هذه الملاحظة تقول : إن الغرب بعد أن نجح في وضع السدود في طريق المد الإسلامي إلى أوروبا عن طريق تشويه صورة الإسلام نقل تلك السدود أخيرا إلى العالم الجديد في أمريكا وأستراليا وما إليهما . إن الاجتهاد في الإجهاز على شعب البوسنة والهرسك المسلم تطبيق عملي لحقد أوروبا والغرب المسيحي على الاسلام والمسلمين .

وإن هذه مناسبة طيبة لتكرار التذكار بتحذير المؤلف الألماني باول شمتز الغرب في كتابه الخطير الشأن : الإسلام قوة الغد العالمية^(١) في الباب الرابع من الكتاب بعنوان : أسس القوة النامية في العالم الاسلامي ، بالتحذير من سبب من أهم هذه الأسباب وهو الزيادة المطردة في عدد سكان العالم الإسلامي وخاصة الشباب . إن الاحصاءات التي قام بها الغرب لبعض الدول العربية والاسلامية

(١) نقلة إلى العربية الدكتور محمد شامه الناشر مكتبة وهبة القاهرة .

أثبتت أن المسلم أخصب جنسيا دائما حتي في حال المقارنة بين المسلم وغير المسلم في البلد الواحد. وقد أظهرت الإحصائيات أن مصر تتقدم العالم الإسلامي في هذا المجال^(١) تليها تركيا^(٢) وأظهرت الإحصائيات أن الخصوبة البشرية لدى العرب أكبر من الخصوبة لدى اليهود بمرتين ونصف^(٣) وأن الخصوبة البشرية لدى الجزائريين تفوق غير المسلمين في الجزائر بأربع مرات تقريبا^(٤): «وتوصل الباحثون إلى نتيجة تدعو إلى التفكير والتأمل. فقد أثبتوا - بناء على أرقام توصلوا إليها في عام ١٩٣١م أن بين كل ٣,٣١ من البالغين في أوروبا يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشرة.

أما في مصر وتركيا وإيران فقد أثبت الإحصاء الذي جرى في نفس العام أن فيها شابا تحت الخامسة عشرة بين كل ١,٣٨ من البالغين. وطبقا لهذه النتيجة التي تبين اختلاف نسبة الاطفال إلى البالغين بين أوروبا والعالم الإسلامي أمكن للمرء أن يتنبأ بأن تفوق الإنتاج البشري في المنطقة الاسلامية سوف يؤثر تأثيرا بالغاً على العلاقة بين الشرق والغرب في عشرات السنين القادمة»^(٥).

إن على المسلمين أن يقدرُوا هذه النعم حق قدرها وأن يقوموا بما يجب عليهم من شكر لله تعالى عليها. ومن أهم مظاهر الشكر لله تعالى أن يستمروا متحليين بثوب العفة رجالا ونساء لأن أهم سبب

(١) الاسلام قوة الغد العالمية ١٨٤.

(٢) نفسه ١٨٥.

(٣) نفسه ١٨٦.

(٤) نفسه ١٨٦.

(٥) نفسه ١٨٧.

وراء هذه النعمة التي يرفلون فيها، نعمة الذرية والخصوبة الجنسية، هو الاستمسك بتعاليم الإسلام وفي مقدمة هذه التعاليم عفاف الجنسين وطهره. وإن على المسلمين أن يعتبروا بما حل بالأمم الأخرى التي ابتعدت عن تعاليم الله وبما يحل بها. ومن أدق المؤشرات الدالة على فقدان الغرب - وكذلك الشرق البعيد عن تعاليم الله - حيويته ونشاطه تدريجا استمرار دول الغرب منذ مطلع القرن العشرين في تخفيض الشروط المطلوب توافرها في المنخرطين في سلك الجندية^(١) وعن الأمراض الجنسية وتفكك الأسر حدث ولا حرج.

والحقيقة أن الكلام الذي يمكن أن يقال بين حظ المسلمين الموفور من الذرية وحظ غيرهم المبخوس كثير. ويحسن الاكتفاء هنا بهذه الایماء. وإن كان لابد من شيء يقال في هذا الشأن أخيرا في سبيل صيانة النسل وحماية الذرية فهو الشيء الذي ينبغي أن يقال عن السياحة وعن وجوب تعاون المسلمين على البر والتقوى والعمل على جعل سياحة المسلمين في حدود العالم الاسلامي وجعل السياحة إسلامية حقا وحماية هذه السياحة الإسلامية من سائر المنغصات، بما في ذلك الجشع والسُّعار الماديان^(٢).

(١) أنظر مثلاً الحجاب ٩٠ لأبي الأعلى المودودي.

(٢) اسهاماً من الباحث في هذا الميدان من أجل حماية الأسرة المسلمة قام بدراسة عنوانها: «جمهورية المالديف. المنتجع والمصيف» وقد رفع معالي الأمين العام السابق لرابطة العالم الاسلامي د. عبدالله عمر نصيف الدراسة في ٢٧/١/١٤١٤ هـ لفخامة رئيس جمهورية المالديف الأستاذ مأمون عبد القيوم.

ونختم هذه الكلمات بقول الحق جل وعلا^(١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقول الحق جل وعلا^(٢): ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وقول الحق جل وعلا^(٣): ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ. أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ وقول الحق جل وعلا^(٤): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقول الحق جل وعلا^(٥): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ خِزْيَ الْأَلْبَابِ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ وقول الحق جل وعلا^(٦): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقول الحق جل وعلا^(٧): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقول الحق جل وعلا^(٨): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقول الحق جل وعلا^(٩): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقول الحق جل وعلا^(١٠): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

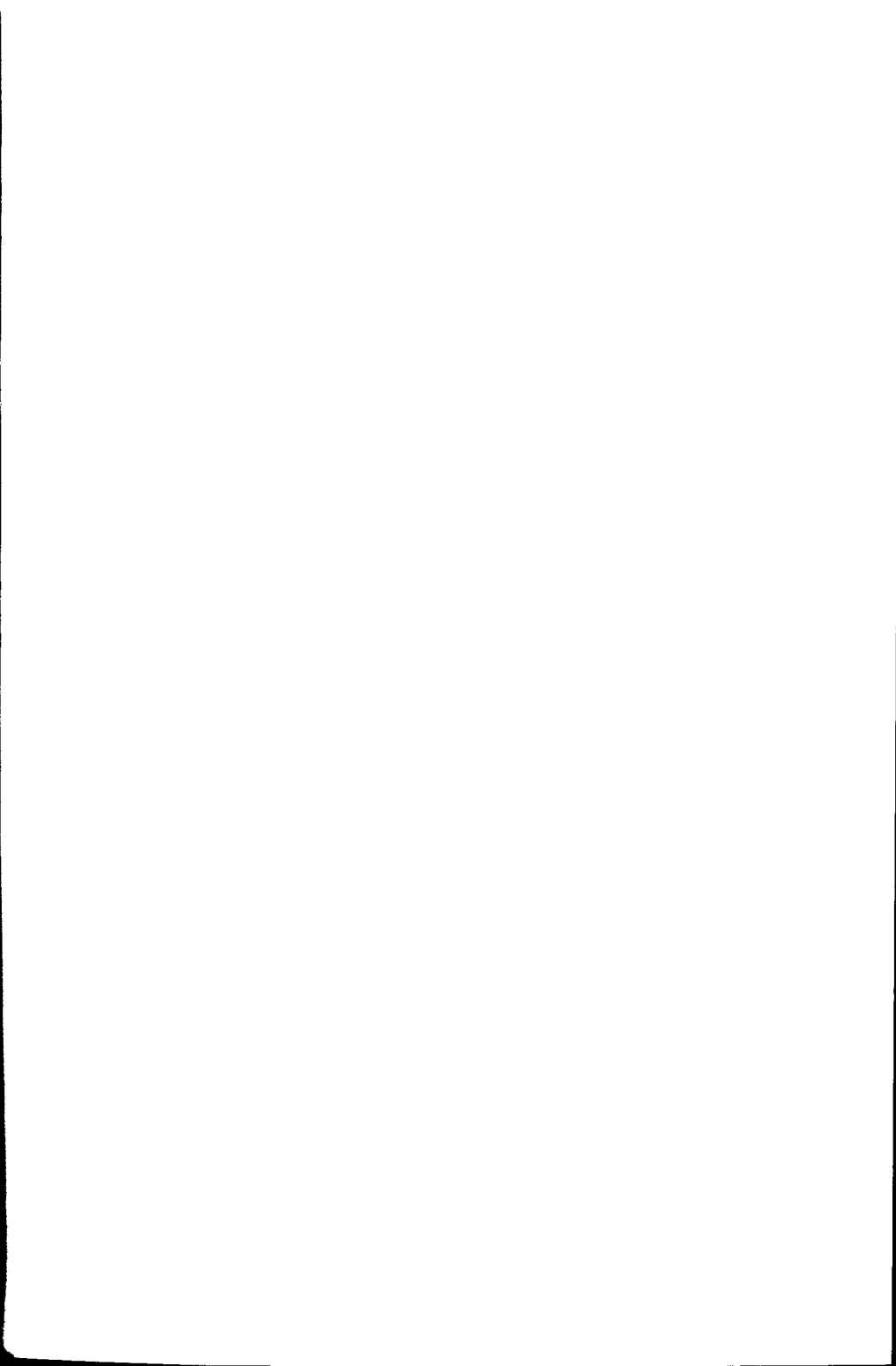
(١) سورة النور ١٩ .

(۲) سورة هود ۶.

(٣) سورة النحل، ٧٢.

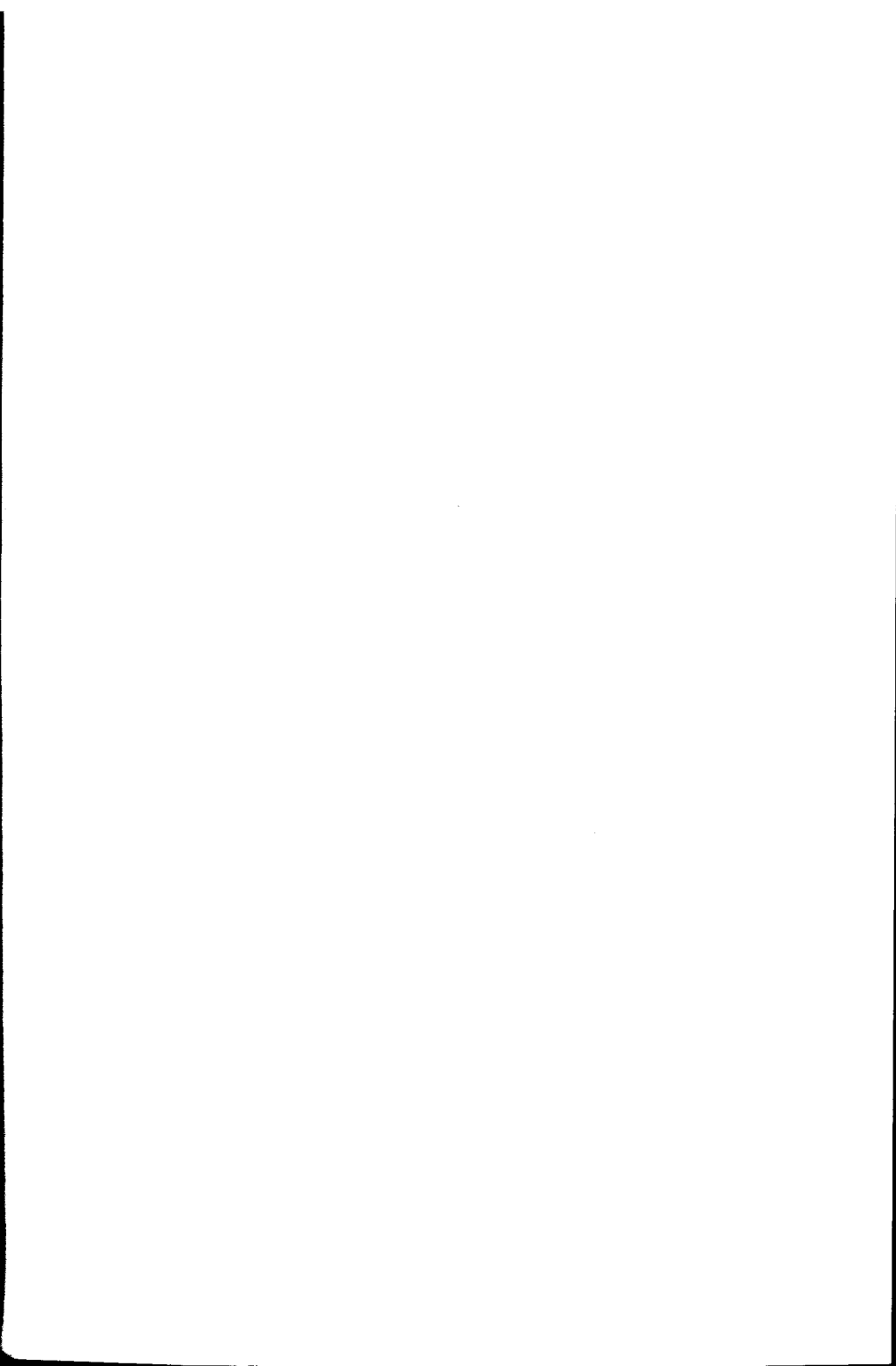
(٤) سورة النساء ٢٦-٢٨.

(٥) فقه السنة ١١/٢ وفتح الباري ١١١/٩ وقال: «أخرج ابن حبان»،



(٤)

بعض الوسائل لحماية الخرية



(أ) تحريم الزواج بالمشركة والمشركة وتفصيل الأمة والعبد المؤمن:

لدين الأسلام وسائله المتعددة في حماية الذرية. ومن هذه الوسائل التحريم على التأييد زواج المسلم بالمشركة وزواج المسلمة بالمشرك. قال تعالى^(١): ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ. وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ. وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا. وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ. أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وكما يبدو من أسباب النزول^(٢) ويفهم من الآية الكريمة أنَّ رب العزة ينهانا في محكم كتابه عن نكاح المشركات حتى يؤمن. ومع أنَّ الآية الكريمة نزلت أساسا في مشركات العرب فإن العبرة كما هو مفهوم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتحريم نكاح المؤمن بالمشركة والمؤمنة بالمشرك على التأييد مفهوم من عموم لفظ الآية. وإنما يجوز النكاح حينما يترك المشرك أو المشركة الشرك ويعتقن الاسلام. وتفضل الآية الكريمة الأمة المؤمنة المملوكة الدميمة على الحرة المشركة الجميلة، كما تفضل العبد المؤمن المملوك الدميم على الحر المشرك الجميل. إن الإسلام لا يبخس الجمال حقه. وفي الآية الكريمة الإيحاء إلى قيمة الجمال في قوله تعالى: (ولو اعجبتمكم) ولكن ماقيمة جمال

(١) سورة البقرة ٢٢١.

(٢) أنظر هنا تفسير الطبري ٢/٢٢٣ وتفسير ابن كثير ١/٢٥٨ وتفسير القرطبي ٨٧٥-٨٧٧ والبحر المحيط ٢/١٦٣ والكشاف ١/٢٧٣ وأسباب النزول ١٠٤.

الظاهر أو جمال الخلق إلى جمال الباطن أو جمال الخلق. إن جمال الظاهر أو جمال الخلق، مع الشرك، في حكم المعدوم. وتعين الآية الكريمة علة المنع: ﴿أولئك يدعون إلى النار﴾ إن خطورة زواج المشرك بالمسلمة لا تحتاج إلى تفكير. وبشأن زواج المسلم من المشركة فيه من الخطر مافيه لانجذاب المشركة بطبعها إلى متعلقات الشرك فهي تدعو زوجها بطريق مباشر أو غير مباشر إلى النار وبئس القرار، أما الذرية فإن الخطر المباشر عليهم من المشركة لا يخفى على من لديه أدنى مسكة وبقية من عقل.

وهكذا يتبين بنص الآية الكريمة أن الإعجاب بالجمال لا وزن له مع الشرك وأن الجمال في هذه الحال تفضل عليه الدمامة مع الإيمان، لأن المؤمن والمؤمنة ينفذان أمر الله تعالى بالدعوة إلى الجنة ولأن المشركين يدعون إلى النار والعياذ بالله.

وكما حرم الله تعالى نكاح المشركين حماية للذرية في المقام الأول من هذا الذنب الذي لا يغفره الله تعالى لمن مات مشركا وضع ضوابط لمن اضطر فتزوج الأمة المؤمنة او الكتابية، اليهودية أو النصرانية.

وبشأن الزواج من الأمة، مع أنه لا يوجد الآن في ديار الإسلام أمة واحدة ولا عبد واحد لأن الإسلام شرع للعق و لم يشرع للرق الذي كان وقت نزول القرآن الكريم قانونا عالميا لذا لم يحرمه الإسلام على الفور كالربا والخمر لأن الأعداء كانوا يسترقون أسرى

المسلمين^(١) ، ونود أن ندون الآية الكريمة التي اشتملت على ضوابط الزواج من الأمة . قال تعالى^(٢) : ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيما نكم من فتياتكم المؤمنات . والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض . فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان . فإذا أحصن فإن أتبن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب . ذلك لمن خشي العنت منكم . وأن تصبروا خير لكم . والله غفور رحيم ﴾ .

وتتضح ضوابط الزواج من الأمة من ذكر معنى الآية الكريمة . إن من لم يستطع منكم أيها المؤمنون طولا وفضلا ومالا^(٣) أن ينكح المحصنات الحرائر العفائف^(٤) المؤمنات فإن ثمة أن تتزوجوا مما ملكت أيما نكم من فتياتكم المؤمنات وإمائكم المسلمات والله تعالى أعلم بحقيقة إيمانكم فاكتفوا بالظاهر وكلوا السرائر إليه جل وعلا . والله تعالى جعل بعضكم من بعض فأبواكم جميعا آدم وحواء عليهما السلام . فتزوجوهن^(٥) بإذن أهلهن وأربابهن^(٦) وأعطوهن مهورهن^(٧) بالمعروف وطيب نفس منكم^(٨) محصنات عفيفات^(٩)

(١) درسنا مسألة الرق تحت عنوان : معاملة الاسلام للأسرى في : تأملات في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٥٧ - ١٠٢ الطبعة الثانية وفي رسالة المسجد العدد الرابع السنة الرابعة ربيع الأول ١٤٠١ هـ يناير ١٩٨١ م .

(٢) سورة النساء ٢٥ .

(٣) تفسير الطبري ١٠ / ٥ وانظر مفردات الراغب الأصفهاني : طول ٣١٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٤٧٥ .

(٥) تفسير الطبري ١٣ / ٥ .

(٦) المرجع السابق ١٣ / ٥ .

(٧) المرجع السابق ١٣ / ٥ .

(٨) تفسير ابن كثير ١ / ٤٧٥ .

(٩) تفسير الطبري ١٣ / ٥ .

غير مسافحات أي زوان معلنات لا يمينن أحدا أرادهن بالفاحشة^(١) وغير زوان متخذات أخدان، قال ابن عباس: يعني أخلاء^(٢) يزنون بهن سرا^(٣) قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون مآظهم من الزنا ويستحلون ماخفي يقولون: أما مآظهم منه فهو لؤم. وأما ماخفي فلا بأس بذلك^(٤) فإذا أحصن وتزوجن فصرن ممنوعات الفروج من الحرم بالأزواج^(٥) فإن أتت بفاحشة الزنا^(٦) فعليهن نصف ما على المحصنات الحرائر الأبكار إذا زنين^(٧) من العذاب والحد^(٨) ومذهب الجمهور أن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة سواء كانت مسلمة أو كافرة، مزوجة أو بكرا^(٩) إن ذلك الإذن بزواج الأمة لمن خشي العنت منكم أيها المؤمنون وخاف الزنا^(١٠) وأن تصبروا أيها المؤمنون عن نكاح الإمام^(١١) حتي يغنيكم الله تعالى من فضله خير لكم لأنه إذا تزوجها جاء أولاده أرقاء لسيدها^(١٢) هذا إلى أن الأمة ستكون بين زوجها وبين سيدها. والله غفور لمن أذنب وتاب وعمل صالحا رحيم حينما خفف عنكم وأرشدكم إلى معالم دينكم.

(١) تفسير ابن كثير ٤٧٥/١ وتفسير الطبري ١٤/٥.

(٢) المرجع السابق ٤٧٥/١.

(٣) الجلالين.

(٤) تفسير الطبري ١٤/٥.

(٥) تفسير الطبري ١٤/٥ وتفسير ابن كثير ٤٧٦/١.

(٦) تفسير الطبري ١٦/٥.

(٧) الجلالين.

(٨) المرجع السابق.

(٩) تفسير ابن كثير ٤٧٦/١.

(١٠) تفسير الطبري ١٧/٥.

(١١) المرجع السابق ٧/٥.

(١٢) تفسير ابن كثير ٤٧٨/١.

وإن من أهم الضوابط التي نود أن نقف عندها ما جاء في قوله تعالى: ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ والملاحظ أن الجمع في القرآن الكريم بين النهي عن السفاح واتخاذ الأخدان جاء في موضعين اثنين فقط، في هذا الموضع من آية سورة النساء، وفي الآية الكريمة من سورة المائدة التي تجعل النهي عن السفاح واتخاذ الأخدان من بين ضوابط الإذن للمسلم بالزواج من الكتابية. قال تعالى^(١): ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أنتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان. ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وإن من أهم الملاحظات على هذه الضوابط تكرار لفظ المحصنات في قوله تعالى: ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ إن تكرار لفظ المحصنات رغم إمكان الاستغناء عنه، وهو في الموضعين بمعنى العفيفات، دليل على أهمية تحقق شرط العفة في الكتابية التي يريد المسلم أن يتزوجها، ومن أكبر الأدلة على ذلك أن الحديث عن المؤمنات إذا كان قد اكتفى بصفة الإحصان فإن الحديث عن الكتابيات طويل. فعلى المؤمن الذي يريد أن يتزوج الكتابية أن يعطيها مهرها، وأن يكون محصناً أي عفيفاً^(٢) وألا يزني بها سفاحاً علانية وجهراً،

(١) سورة المائدة ٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢١٠.

وَأَلَّا يَخَادِنَهَا وَيَفْجُرَ بِهَا خِفَاءً وَسِرًّا^(١) إِنَّ النَّهْيَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي حِيزٍ وَاحِدٍ عَنِ الزَّنا سَفَاحًا وَالزَّنا خِفَاءً جَاءَ مَلَابِسًا لِلْإِذْنِ بِزَوَاجِ الْمُسْلِمِ الْأُمَّةِ مَرَّةً وَالتَّكْتَابِيَّةِ أُخْرَى . فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْيِي ذَلِكَ جِيدًا .

(ب) الْخَايَةِ مِنَ الزَّوْجِ الذَّرِيَّةِ:

مِنِ الْأَدْلَةِ عَلَى حِمَايَةِ الْإِسْلَامِ لِلذَّرِيَّةِ وَالتَّشْجِيعِ عَلَى النَّسْلِ وَأَنْ الْهَدَفَ مِنَ الزَّوْجِ الْإِنْجَابِ أَمْرُ الْأَزْوَاجِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْ يَأْتُوا زَوْجَاتِهِمْ بَعْدَ طَهْرِهِنَّ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ تَعَالَى^(٢) : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذْيٌ فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ . فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ : أَيُّ فَجَامِعُوهُنَّ وَهُوَ أَمْرٌ بِإِبَاحَةٍ . وَكُنِيَ بِالْإِتْيَانِ عَنِ الْوُطْءِ^(٣) وَحَيْثُ : ظَرْفٌ مَكَانٌ . فَالْمَعْنَى مِنَ الْجَهَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ الْقَبْلُ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ فِي حَالِ الْحَيْضِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالرَّبِيعُ^(٤) وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى وَيُؤَكِّدُهُ الْأَمْرُ بِأَنْ يَقْدَمَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ لِنَفْسِهِ وَذَلِكَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ التَّالِيَةِ . قَالَ تَعَالَى^(٥) : ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ

(١) درسنا الآية الكريمة في تأملات في سورة المائدة ٧٧ - ٨٤ من مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي .

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ .

(٣) تفسير القرطبي ٨٩٨ . طبعة الشعب القاهرة .

(٤) البحر المحيط ١٦٩/٢ .

(٥) سورة البقرة ٢٢٣ .

بذلك: نساؤكم مزدرع أولادكم فأتوا مزدرعكم كيف شئتم..
 وإنما عنى بالحرث وهو الزرع المحترث والمزدرع، ولكنهن لما كن من
 أسباب الحرث جعلن حرثا إذ كان مفهوما معنى الكلام^(١) ففرج
 المرأة كالأرض، والنظفة كالبذر، والولد كالنبات، فالحرث بمعنى
 المحترث، ووحيد الحرث لأنه مصدر كما يقال: رجل صوم وقوم
 صوم^(٢) وقدموا لأنفسكم: الخير والصالح من الأعمال^(٣) فحذف
 المفعول به، وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم
 من خير تجدوه عند الله﴾^(٤) قال ابن عباس وعطاء: أي قدموا ذكر
 الله عند الجماع^(٥) عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه
 وسلم: أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم
 جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقنا، ثم قدر لهما في ذلك أو
 قضي ولد لم يضره شيطان أبدا^(٦) وقال تعالى^(٧): ﴿أحل لكم ليلة
 الصيام الرفث إلى نسائكم. هن لباس لكم وأنتم لباس لهن. علم
 الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم. فالآن
 باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم. وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم
 الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتموا الصيام إلى
 الليل. ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد. تلك حدود الله

(١) تفسير الطبري ٢/ ٢٣١.

(٢) المرجع السابق ٩٠١.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٣٧.

(٤) تفسير القرطبي ٩٠٤. طبعة الشعب القاهرة.

(٥) المصدر السابق ٩٠٤.

(٦) فتح الباري ٩/ ٢٢٨ رقم ٥١٦٥ وصحيح مسلم ١٠/ ٥.

(٧) سورة البقرة ١٨٧.

فلا تقربوها . كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴿ ومعنى «فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم» ففي ليلة الصيام جامعوهن إن شئتم واطلبوا ما قسم الله لكم من الولد بالمباشرة «أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ماوضع الله له النكاح من التناسل»^(١).

ومن الأدلة على عناية الإسلام بالذرية وكون الهدف الأهم هو الإنجاب هذه الآية الكريمة من سورة النساء^(٢) . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .

عن ابن عباس : كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبا كان أحق بها فنزلت^(٣) فالآية الكريمة تقضى على إحدى عادات الجاهلية وتنهى الرجال أن يعضلوا الزوجات ويضاروهن في العشرة لتترك صداقها أو بعضه أو حقا من حقها أو شيئا من ذلك على وجه القهر لها والاضرار^(٤) إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كالزنا والعصيان والنشوز وبذاء اللسان وغير ذلك^(٥) فإن كرهتموهن لدمامة أو سوء خلق من غير ارتكاب فاحشة أو

(١) الكشف ٢٥٧/١ والبحر المحيط ٥٠/٢ .

(٢) الآية ١٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٦٥/١ .

(٤) المرجع السابق ٤٦٥/١ .

(٥) المرجع السابق ٤٦٥/١ .

نشوز، فهذا يندب فيه إلى الاحتمال، فعسى أن يثول الأمر إلى أن يرزق الله منها أولادا صالحين^(١).

(ج) العناية بالجنين :

ومما له علاقة بعناية الإسلام بالذرية عنايته بالجنين وهو في رحم والدته. إن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها والمطلقة أن تضع حملها قال تعالى^(٢): ﴿وَاللَّائِي يَنسُنْ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ لأولات الأحمال المطلقات والمتوفى عنهن النفقة حتى يضعن حملهن^(٣) فالنفقة روعي فيها الجنين في المقام الأول، وللوالدة أجرها على إرضاعها ولدها ممن طلقها. فان تعاسر الأب والأم وتضايقا في الإوضاع بأن امتنع الأب مثلا من الأجرة والأم من الإرضاع فسترضع للأب بإذن الله تعالى امرأة أخرى، فقد تكفل الله سبحانه وتعالى برزق كل مخلوق، ولا تكره الأم على إرضاع الطفل. وفي هذه المعاني جاء قول الحق جل وعلا في سورة الطلاق^(٤): ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارَوْهُمْ لِتَضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ. وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ

(١) تفسير ابن كثير ٤٦٦/١.

(٢) سورة الطلاق ٤.

(٣) أنظر مثلاً فتح الباري ٩/٤٧٤ والجلالين وفقه السنة ٢/٢٨٧ نفقة المعتدة وتفسير القرطبي

٩١١. طبعة الشعب القاهرة.

(٤) الآية ٦، ٧.

حتى يضعن حملهن . فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن واثمروا
بينكم بمعروف . وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة
من سعته . ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . لا يكلف الله
نفساً إلا ما آتاها . سيجعل الله بعد عسر يسراً .

(ج) الحناية بالمولود :

وبعد أن يرى المولود بنور الله تعالى نور الدنيا فالسنة أن يذبح
عن الولد شاتان متقاربتان شبها وسنا وعن البنت شاة . والذبيحة
التي تذبح عن المولود تسمى العقيقة^(١) ومن السنة أن يختار للمولود
اسم حسن ويحلق شعره ويتصدق بوزنه فضة إن تيسر ذلك^(٢) ومن
السنة أن يؤذن في أذن المولود اليمنى ، ويقيم في الأذن اليسرى ،
ليكون أول ما يطرق سمعه اسم الله^(٣) .

ولما كان المولود منذ أن يستهل صارخاً بحاجة إلى الغذاء فإن
القرآن الكريم في إحدى آيات الأحكام يتحدث في عملية الرضاع
قال عز من قائل^(٤) : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين
لمن أراد أن يتم الرضاعة . وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف . لا تكلف نفس إلا وسعها . لا تضار والدة بولدها ولا
مولود له بولده . وعلى الوارث مثل ذلك . فإن أرادوا فصلاً عن
تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما . وإن أردتم أن تسترضعوا

(١) انظر فقه السنة ٣/ ٢٧٩ وفتح الباري ٩/ ٥٨٦ كتاب العقيقة .

(٢) فقه السنة ٣/ ٢٨٠ .

(٣) المرجع السابق ٣/ ٢٨١ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٣ .

اولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف . واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴿١﴾ .

ومعنى الآية الكريمة: والوالدات سواء كن زوجات أو مطلقات ^(٢) يرضعن أولادهن حولين كاملين وعامين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة . وجمهور الفقهاء على أنه يجوز الزيادة والنقصان إذا رأيا ذلك ^(٣) والقول: لمن أراد أن يتم الرضاعة . دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتماً ، لأنه يجوز الفطام قبل الحولين ، ولكنه تحديد لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع ، فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين . وإذا أراد الأب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الأم لم يكن له ذلك . والزيادة على الحولين أو النقصان إنما يكون عند عدم الاضرار بالمولود وعند رضا الوالدين ^(٤) وعلى والد الطفل وهو الأب ^(٥) رزقهن وما بدلهن من غذاء ومطعم ^(٦) وفي هذا دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لضعفه وعجزه . وسماه الله سبحانه للأم لأن الغذاء يصل إليه بواسطتها في الرضاع كما قال : ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن﴾ لأن الغذاء لا يصل إلا بسببها ^(٧) وعلى والد الطفل كذلك

(١) درسنا الآية الكريمة في : تأملات في سورة البقرة ١٣٤٤ - ١٣٦٥ كما درسناها تحت عنوان : من مظاهر إعجاز آية من آيات الأحكام . نشرت في مجلة المنهل ص ١٦ فما بعدها العدد ٥٠١ المجلد ٥٤ رجب ١٤١٣هـ يناير ١٩٩٣م .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢١١ وأنظر تفسير الطبري ٢/ ٣٠١ وتفسير القرطبي ٩٦٨ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢١٢ .

(٤) تفسير القرطبي ٩٧٠ .

(٥) تفسير الطبري ٢/ ٣٠٥ والجلالين .

(٦) تفسير الطبري ٢/ ٣٠٥ وتفسير القرطبي ٩٧١ . طبعة الشعب القاهرة .

(٧) تفسير القرطبي ٩٧١ . طبعة الشعب القاهرة .

كسوتهن . كل ذلك بالمعروف أي بالمتعارف في عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط^(١) لا تكلف نفس إلا وسعها . والوسع من القدرة مايفضل عن قدر المكلف^(٢) «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده» «لا يُنْزَعَنَّ ولدها منها وهي صحيحة لها لبن فيدفع إلى غيرها» **«ولا مولود له بولده»** يعني الزوج . يقول : إذا أرضعت صبيها وألفها وعرفها فلا تضارن الزوج في دفع ولده إليه^(٣) أو تطلب أكثر من أجر مثلها^(٤) وعلى الوارث مثل ذلك : يقول أبو حيان^(٥) : «والظاهر في الوارث أنه وارث المولود له لعطفه عليه . ولأن المولود له وهو الأب هو المحدث عنه في جملة المعطوف عليه . والمعنى أنه إذا مات المولود له وجب على وارثه ماوجب عليه من رزق الوالدات وكسوتهن بالمعروف وتجنب الضرار . وروي هذا عن عمر والحسن وقتادة والسدي» .

فإن أراداد : الضمير في أراداد للوالدين^(٦) فصالاً : أي فطاماً للطفل قبل الحولين ورأياً في ذلك مصلحة له^(٧) أي عن الاغتذاء بلبن أمه إلى غيره من الأقوات^(٨) فلا بد من تراضيهما . فلو رضي أحدهما وأبى الآخر لم يجبر . قاله مجاهد وقتادة والزهري والسدي وابن زيد وسفيان وغيرهم . وقيل الفطام سواء كان في

(١) تفسير القرطبي ٩٧١ . طبعة الشعب القاهرة .

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني : «وسع» ٥٢٣ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ / ١٥٠ .

(٤) تفسير القرطبي ٩٧٥ وقد ذكر رأي جمهور المفسرين . وانظر الكشف ١ / ٢٨١ وتفسير ابن كثير ١ / ٢٨٤ .

(٥) البحر المحيط ٢ / ٢١٦ .

(٦) تفسير القرطبي ٩٧٩ .

(٧) تفسير ابن كثير ١ / ٢٨٤ .

(٨) تفسير القرطبي ٩٧٩ . طبعة الشعب القاهرة .

الحولين أو بعد الحولين . قاله ابن عباس^(١) ويحتمل في تشاور أن يكون أحدهما شاور الآخر أو يكون أحدهما شاور غير الآخر لتجتمع الآراء على المصلحة في ذلك^(٢) فلا جناح عليهما : أي في فصله . وفي هذا دليل علي جواز الاجتهاد في الأحكام بإباحة الله تعالى للوالدين الشتاور فيما يؤدي إلى صلاح الصغير ، وذلك موقوف على غالب ظنونهما لا على الحقيقة واليقين^(٣) وإن أردتم أن تسترضعوا أجنبية لأولادكم^(٤) وأن تسترضعوا أولادكم مرضع غير امهاتهم^(٥) فاسترضعتم أو فعلتم ذلك فلا جناح عليكم في الاسترضاع^(٦) إذا سلمتم إليهن^(٧) ما أردتم ابتاءه لهن من الأجر^(٨) بالاجمال والاحسان وترك البخس فيما وجب للمراضع^(٩) واتقوا الله أيها الناس واعلموا أن الله بما تعملون بصير وسيجازيكم عليه يوم القيامة .

(هـ) الرضا بما قسم الله تعالى :

ومن وسائل الاسلام لاستقرار الأسرة وعمله على إدخال السعادة عليها بميلاد الطفل الجديد سواء أكان ذكرا أم أنثى ، ولكون أحد الزوجين أو كليهما عقيما يقرر القرآن الكريم أن الله

(١) البحر المحيط ٢/ ٢١٧ .

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢١٨ .

(٣) أنظر تفسير القرطبي ٩٧٩ و ٩٨٠ . طبعة الشعب القاهرة .

(٤) المرجع السابق ٩٨٠ .

(٥) تفسير الطبري ٢/ ٣١٤ .

(٦) البحر المحيط ٢/ ٢١٨ .

(٧) الجلالين .

(٨) الجلالين والكشاف ١/ ٢٨٢ والبحر المحيط ٢١٩ .

(٩) تفسير الطبري ١/ ٢١٦ .

سبحانه وتعالى هو وحده لا شريك له الذي يفعل كل ذلك . ومن مقومات الإيمان الرضا بما قسم الله تعالى . جاء في سورة الشورى^(١) قول الحق جل وعلا : ﴿لله ملك السماوات والأرض . يخلق ما يشاء . يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما . إنه عليم قدير﴾ كما قضى الإسلام على عادة بعض عرب الجاهلية في بغض البنات وجراة بعضهم على وأد الأولاد ودفنهم أحياء خوف الفقر المتوهم مستقبلا أو الحاصل فعلا وخوف العار في حق البنات على جهة الخصوص . جاء في حق شعور أهل الجاهلية تجاه الذرية من البنات قول الحق جل وعلا^(٢) : ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هون أم يدسه في التراب . ألا ساء ما يحكمون﴾ وقول الحق جل وعلا^(٣) : ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ وفي النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر الحاصل العاجل كما يفعل أهل الجاهلية جاء قول الحق جل وعلا^(٤) : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾^(٥) .

(١) الآية ٤٩ و ٥٠ .

(٢) سورة النحل ٤٨ و ٤٩ .

(٣) سورة الزخرف ١٧ .

(٤) سورة الأنعام ١٥١ .

(٥) درسنا الآية الكريمة في : تأملات في سورة الأنعام ٤٨٧ - ٤٩٥ (مخطوط) .

وفي النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر المتوهم الآجل جاء قول الحق جل وعلا^(١): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ. إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاكُمْ كَبِيرًا﴾ والسبب في اختلاف ترتيب الضمائر في الآيتين الكريميتين هو أن آية الإسراء لا تتحدث عن فقر واقع بالفعل وإنما تتحدث عن فقر متوهم من قبل الذين يئدون البنات ومتوقع حسب اعتقادهم الخاطيء. قال تعالى مشيرا إلى ذلك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ﴾. فالأولاد عند هؤلاء هم سبب خشيتهم من الفقر فاقضى الأمر بناء على ذلك أن يكون هناك تطمين من هذا الجانب أولا وإزالة لهذا السبب المتوهم منه الفقر، فتقدمت الإشارة أولا إلى الحقيقة القائمة من أن الله عز وجل متكفل برزق هؤلاء الأولاد. تلا ذلك الإشارة إلى أنه عز وجل متكفل برزق الآباء أيضا، فلا داعي مطلقا للخوف من الفقر ولا موجب لعملية الوأد أساسا: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

أما آية الأنعام فإنها تنص على الفقر الموجود بالفعل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمَّا لَكُمْ﴾ فهذه الفئة الباغية بسبب الفقر الذي هي فيه عمدت إلى وأد البنات، ظنا منها أنها حينما تتخلص منهن فستنقشع عنها غمة الإملاق. فاقضى دفع هذا الوهم إرشاد هذه الفئة الباغية إلى أن الرزق بيد الله تعالى. وأنهم مجرمون في حق بناتهم اللاتي وُئدن، فالله عز وجل الذي قدر عليهم الرزق هو المتكفل برزقهم ورزق بناتهم. فليس للبنات علاقة مطلقا بالإملاق الموجود فعلا بدونهن، فهذه هي إرادة الله

(١) سورة الإسراء ٣١.

وحكمته . قال تعالى : ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ فلا ذنب للبنات مطلقا حتي يوءدن ويدفن وهن على قيد الحياة في التراب^(١) وإلى عملية الوأد الفعلية أشار قوله تعالى^(٢) : ﴿ وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت ﴾ .

(و) البيئة الصالحة التقية :

ومن الآيات الكريمة التي تشيع جو الصلاح في الأسرة كي تحمي الذرية ثمرة ذلك الصلاح بإذن الله تعالى قول الحق جل وعلا^(٣) : ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحتهما كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك . وما فعلته عن أمري . ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾ إن الغلامين حفظهما الله تعالى بصلاح والدهما في انفسهما ومالهما . وقول الحق جل وعلا^(٤) : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديدا . ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ وقول الحق جل وعلا^(٥) : ﴿ والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء . كل امرئ بما كسب رهين ﴾ . إن الله سبحانه ، فضلا منه جل وعلا ومنة ، يرفع يوم

(١) تأملات في سورة الإسراء للمؤلف ١٣٢ .

(٢) سورة التكاوير ٨ و ٩ .

(٣) سورة الكهف ٨٢ .

(٤) سورة النساء ٩ و ١٠ .

(٥) سورة الطور ٢١ .

القيامة مرتبة الذرية إلى مرتبة الآباء في الصلاح والثواب دون أن ينقص من ثواب الآباء شيء. وقول الحق جل وعلا^(١): ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدروأن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار. جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾^(٢).

ومن الآيات الكريمات التي أرشدت إلى إصلاح ذات البين وإلى العمل على رفع الظلم عن الذرية هذه الآية الكريمة من سورة البقرة^(٣) قال تعالى: ﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه. إن الله غفور رحيم﴾^(٤) إن الآية الكريمة تنفي الإثم عمن أعاد الوصية عن الباطل إلى الحق فتقرر أن من خاف من موص جنفا، أي جورا وميلا عن الحق بطريق الخطأ وحسن النية، أو إثما، أي تعمدًا للحيث والظلم في وصيته كأن يوصي لغني أو يوصي بأكثر من الثلث، فأصلح بين الموصي والورثة والموصى له بأن بين حكم الله تعالى في الوصية وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم فلا إثم عليه. إن الله سبحانه وتعالى غفور لمن تاب رحيم حينما أرشد إلى معالم دينه وإلى باب التوبة المفتوح على مصراعيه حتي تطلع الشمس من مغربها.

(١) سورة الرعد ٢٢-٢٤.

(٢) درسنا الآيات الكريمات في: تأملات في سورة الرعد ١٥٠-١٥٩.

(٣) الآية ١٨٢.

(٤) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة البقرة ٩٩٥-٩٩٧.

ولا يستطيع الدارس للقرآن الكريم من زاوية الأسرة المسلمة إلا أن يقف بإكبار وخشوع أمام الوصية الوحيدة في القرآن الكريم للآباء بأن يكونوا عادلين ومنصفين بين أولادهم في مجال الميراث والمال. لقد جاءت هذه الوصية الوحيدة للآباء في قول الحق جل وعلا في سورة النساء^(١): ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى﴾^(٢).

(١) الآية ١١ .

(٢) درسنا الآية الكريمة في تأملات في سورة النساء ٥٩ - ٦٦ (مخطوط).

(٥)

حماية عفاف الأسرة المسلمة

إن مظاهر الحماية لعفاف الأسرة المسلمة في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم كثيرة . وسنحاول أن نسير مع بعض هذه المظاهر الواحدة تلو الأخرى ، وهي على النحو التالي :

(أ) لباس الجلال والجمال والكمال :

من مظاهر الحماية لعفاف الأسرة المسلمة الحديث في آية كريمة واحدة من القرآن الكريم عن إنزال الله تعالى على بني آدم نوعين من اللباس ، لباس الجلال والوقار الذي يوارى السوءات ، ولباس الجمال والزينة الذي يتجمل به الإنسان ويتزين ، وقد ضمت الآية الكريمة إلى هذين النوعين من اللباس الحسي لباسا آخر معنويا خيرا من اللباسين السابقين ، وهذا النوع الثالث هو لباس التقوى . قال تعالى^(١) : ﴿يَابْنِي آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتَكَمْ وَرِيشًا . وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ . ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ إن رب العزة يخاطب بني آدم ويمن عليهم بأنه جل وعلا قد أنزل عليهم لباسا يغطي سوءاتهم وعوراتهم والأجزاء الخاصة من الانسان الذي يسؤوه انكشافها ، وأنزل عليهم لباسا يتزينون به استعير له لفظ الريش . والرياش والريش واحد وهو مظهر من اللباس^(٢) وريش الطائر معروف . وقد يخص الجناح من بين سائرهِ ولكون الريش للطائر كالثياب للإنسان استعير للثياب . قال تعالى : ﴿وَرِيشًا . وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾^(٣) ولما كان جمال ريش الطائر من أهم

(١) سورة الأعراف ٢٦ .

(٢) صحيح البخاري ٧٣/٦ .

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني : «ريش» ٢٠٧ .

ملامحه، بل إن جمال هذا الريش يكاد يكون جل جمال الطائر كالطاووس مثلا فإن استعارة لفظ الريش للنوع الآخر من اللباس دليل على أن المراد ثياب الجمال والزينة، ودليل على عناية الإسلام بالجمال وعدم إغفاله أو إهماله لصفة الجمال وإنما يعطيها القدر الذي تستحق من العناية أو الاهتمام والذي يتأخر عن قدر العناية بكل من الحق والخير. وفي الكلام بلاغة بالحذف، والتقدير: يا بني آدم قد أنزلنا عليكم من السماء ماء مما يشرب الناس والأنعام والنبات، فيحيا الناس والأنعام والنبات، ويحصل الناس من أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، ومن القطن والكتان وما إليهما مما يمكن الحصول عليه عن طريق النبات، يحصل الناس على أنواع لباس الوقار والجلال والاحتشام، وأنواع لباس الزينة والجمال والرياش.

على أن ثمة لباسا آخر معنويا خيرا من اللباسين السابقين، وهذا اللباس هو لباس التقوى والكمال. وبهذا يتصف من ارتدى هذه الأنواع الثلاثة من اللباس بالثلاث الصفات من الجلال والجمال والكمال. إن لباس ستر العورات جلال، وإن لباس الزينة جمال. وإن لباس التقوى كمال. إن كلا من لباس الباطن ولباس الظاهر من آيات الله تعالى لعلنا نتذكر ونتعظ وإن لباس التقوى، وهي الوجه الآخر من الإحسان خير من اللباسين السابقين. والإحسان كما بين معناه المصطفى صلى الله عليه وسلم: هو أن تعبد الله

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١) يقول ابن كثير^(٢): (فاللباس ستر العورات وهي السوءات، والرياش والريش ما يتجمل به ظاهرا، فالأول من الضروريات والريش من التكملات والزيادات) وإن الآية الكريمة في بلاغتها بالحذف تذكرنا بإنزال الله تعالى الأنعام في قول الحق جلا وعلا^(٣): ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث. ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾.

وإن حديث الآية الكريمة عن اللباس يذكرنا بمثل هذه الآية الكريمة في تعداد نعم الله تعالى على بني آدم في سورة النحل^(٤): ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾.

ومن الواضح أن لباس التقوى المعنوي أو الكمال يأتي فوق الرياش ولباس الزينة والجمال، وأن الرياش يأتي فوق اللباس الذي يوارى السوءة أي لباس الوقار والجلال. إن ذلك يعني أن لباس التقوى أو الكمال يفترض وجود لباس ستر العورة ولباس الزينة أو الجمال، ففي الحديث الصحيح: إن الله جميل يحب الجمال^(٥).

(١) صحيح البخاري ٢٠ / ١.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٠٧.

(٣) سورة الزمر ٦.

(٤) الآية ٨٠.

(٥) فقه السنة ١٩ / ٢.

كما يعنى أن نزع لباس ستر العورة معناه نزع آخر لباس للإنسان .
 فما الذي يحرص عليه الشيطان الرجيم الذي أعلن عداوته
 الصريحة لجنس الإنسان؟ إنه يحرص على نزع اللباس الذي يوارى
 السوء ويغطي العورة . وهاهي ذي الآية الكريمة من سورة
 الأعراف كذلك تحذرننا من هذا الهدف الرخيص للعين ، قال
 تعالى^(١) : ﴿يَابْنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ
 الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتُهُمَا . إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ . إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ﴾ .

إن رب العزة ينهى بني آدم أن يفتنهم الشيطان الرجيم
 ويخدعهم^(٢) ويضلهم^(٣) فتنة كفتنة إخراج أبويهم من الجنة ، آدم
 وحواء عليهما السلام . وماهي وسيلة فتنة الشيطان اللعين لبني
 آدم؟ : «ينزع عنهما لباسهما» والمعروف أن النزع يرتبط به العنف
 والقوة في الجذب . جاء في نزع الملائكة أرواح الكافرين بقوة كما
 يغرق نازع القوس في النزع والجذب قول الحق جل وعلا^(٤) :
 ﴿وَالنَّازِعَاتُ غُرَقًا﴾^(٥) إن اللعين من القباحة والوقاحة إلى الحد
 الذي يعمد معه مباشرة إلى نزع لباس كل من الجنسين . ولماذا ينزع
 اللعين بهذه الطريقة العنيفة الوقحة لباس كل من الجنسين وهو الذي

(١) سورة الأعراف ٢٧ .

(٢) تفسير الطبري ١١٢/٨ .

(٣) مفردات الراغب الاصفهاني : «فتن» ٣٧٢ .

(٤) سورة النازعات ١ .

(٥) أنظر مثلاً تأملات في سورة النازعات للمؤلف ١٨ فما بعدها .

يرانا هو وذريته كما جاء في الآية الكريمة؟ الجواب في الآية الكريمة ذاتها: **«ليريهما سوءاتهما»** إن الهدف من نزع اللعين اللباس الداخلي لكل من الجنسين أن يرى كل من الجنسين عن طريق الحرام سوء الآخر وعورته والعضو الخاص الذي يسوء الإنسان السوي انكشافه. إن اللعين هو وجنوده^(١) يرون بني آدم من حيث لا يرونهم، وإن الذين يستجيبون لإغواء الشيطان الرجيم وإغرائه هم أولياؤه غير المؤمنين، أما المؤمنون فإن الله سبحانه وتعالى هو وليهم ومولاهم قال تعالى^(٢): **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** وقال تعالى^(٣): **﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾**.

وإن معني قوله تعالى: **﴿لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾** لا يفتنكم فتنة كفتنة إخراج أبويكم من الجنة^(٤) يحملنا على أن نقف على بعض الآيات الكريكات التي تتحدث عن فتنة الشيطان لأبويننا: آدم وحواء عليهما السلام وإخراجهما من الجنة. وإن أقرب الآيات الكريكات هي السابقات مباشرة. قال تعالى^(٥): **﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا**

(١) الجلالين وأنظر مثلاً تفسير الطبري ١١٣/٨.

(٢) سورة البقرة ٢٥٧.

(٣) سورة محمد ١١.

(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١٦/٤.

(٥) سورة الأعراف ١٩-٢٥.

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليدي لهما ماووري عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. فدلاهما بغرور. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون.

إن اللعين خدع أبويها عليهما السلام وضللهما بأن زين لهما معصية الله تعالى بالأكل من الشجرة ليظهر لكل منهما سوءة الآخر وعورته ويخرجهما من الجنة. وإن اللعين الذي تعهد بإغواء جنس الإنسان إلا عباد الله تعالى المخلصين يزين للانسان معصية الله تعالى بعامة، في مجال علاقة الذكر بالأنثى والانثى بالذكر بخاصة، مما له علاقة بإبداء كل من الجنسين عورته للآخر عن طريق الحرام، لصرفهما عن الجنة إلى النار والعياذ بالله.

والحقيقة أن هذه الآيات الكريمات من سورة الأعراف على جهة الخصوص تبين أهم أسباب قيام الحضارات واستمرارها وهذا السبب هو العفاف والطهر. عفاف الرجال والنساء على السواء وطهرهم. إن كل الحضارات التي قامت ودامت أمدا طويلا كان حظها من العفاف كبيرا. وإن هذا السبب المهم في قيام الحضارات

نتبينه من ارتداء لباس كل من الجلال والجمال والكمال، أي ستر العورة، وأخذ لباس الزينة التي تليق بكل من الجنسين دون اسراف بما في ذلك أخذ لباس الزينة عند كل مسجد، وارتداء لباس التقوى بطاعة الرحمن الرحيم، وعصيان الشيطان الرجيم. كما نتبين هذا السبب المهم في قيام الحضارات في قول الحق جل وعلا عن آدم وحواء عليهما السلام في الآية الكريمة من سورة الأعراف^(١) : **﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾** والمعنى أن آدم وحواء عليهما السلام لما بدت لهما سواتهما وعوراتهما أقبلا وجعلا^(٢) وأخذا^(٣) يخصفان ويشدان^(٤) ويلزقان^(٥) عليهما من ورق الجنة. وماعنى أن يشد الزوجان ويلزقا عليهما من ورق الجنة؟ معناه أنهما القمة في الحياء مع أنهما زوجان يفضي كل منهما إلى الآخر ويصل منه إلى فضائه وأعماقه - بإذن الله تعالى - عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل دين خلقا. وخلق الإسلام الحياء^(٦) وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحى فاصنع ما شئت^(٧).

(١) الآية ٢٢.

(٢) تفسير الطبري ٨/ ١٠٥.

(٣) الجلالين.

(٤) تفسير الطبري ٨/ ١٠٥.

(٥) الجلالين.

(٦) سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٩٩.

(٧) فتح الباري ١٠/ ٥٢٣ حديث رقم ٦١٢٠.

والحقيقة أن هذه الآيات الكريمات من سورة الأعراف تبين أهم أسباب انهيار الحضارات كلها وبدون استثناء، وهذا السبب هو الفجور والعهر. فجور الرجال والنساء وعهرهم على السواء. إن كل الحضارات التي انهارت كان حظ رجالها ونسائها من الاخلاق المنحطة كبيرا. وإن هذا السبب المهم في انهيار الحضارات نتيئنه فيما جاء عن اللعين في قول الحق جل وعلا في سورة الأعراف^(١) :
﴿فوسوس لهما الشيطان لييدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ وفي قول الحق جل وعلا^(٢) : **﴿يتزع عنهما لباسهما ليريها سوءاتهما﴾**.

وقد تبين من امتنان الله تعالى على عباده من إنزال الريش عليهم. بمعنى تسهيل الأسباب التي تجعل الإنسان في مقدوره أن يعمل الثياب الجميلة ويحصل عليها ويرتديها، تبين أن الإسلام الذي يقدم الحق والخير على الجمال، شأنه في ذلك شأن كل دين سماوي، لا يهمل جانب الجمال أو الزينة ونستطيع أن نقول عن الزينة في حق الرجال والنساء بأن المسموح منها هو ما كان مبقيا للرجل في دائرة الرجال وللمرأة في دائرة النساء، وذلك في ضوء الحديث النبوي الشريف الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال^(٤) ويفهم عدم

(١) الآية ٢٠.

(٢) الآية ٢٧.

(٣) جاء بعد ذلك مباشرة: قال حجاج: لعن الله.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥٦/٥ حديث رقم ٣١٥١

الإسراف في الزينة لكل من الرجال والنساء على السواء لأن الإسلام دين الوسطية في كل شيء . إن الآية الكريمة من سورة الأعراف التي تأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد وتأمر بالأكل والشرب أمر إباحة تنهى عن الإسراف في الأكل والشرب، ومن باب الأحرى والأولى أن يكون عدم الإسراف منسحبا على الزينة، قال تعالى^(١): ﴿يَابْنِي آدَمُ خُذْ زِينَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلْ وَاشْرَبْ وَلَا تُسْرِفْ. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ بل إن السورة الكريمة لتتكر في أسلوب الاستفهام على من حرم زينة الله تعالى لعباده والطيبات من الرزق وتقرر أن الزينة والطيبات هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا على جهة الاستحقاق وإن شاركهم فيها سواهم، وأنها خالصة للذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم القيامة . قال تعالى^(٢): ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .

(ب) العفاف، وعدم إبداء النساء زينتهن، والحجاب:

إذا كانت الغاية البعيدة من الزواج الإنجاب والحصول على الذرية فإن غايته القريبة العفاف والإحصان . ومن هنا كان أمر القرآن الكريم أولي الأمر بإنكاح الأياامي، وهم من لا أزواج لهم

(١) سورة الأعراف ٣١ .

(٢) سورة الأعراف ٣٢ .

من الجنسين، قال تعالى^(١): ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ. إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ والأيامي جمع الأيم. وهي المرأة التي لا بعل لها، وقد قيل للرجل الذي لا زوج له، وذلك على طريق التشبيه بالمرأة فيمن لا غناء عنه لا على التحقيق^(٢) ومن البين عناية الآية الكريمة بالدين. فكما تفضل المرأة ذات الدين يفضل الرجل ذو الدين. وإن يكن الأزواج فقراء فسوف يغنيهم الله تعالى من واسع فضله. وبهذا تؤخر الآية الكريمة المال عن الدين. وقد بينت الأحاديث النبوية الشريفة هذه المعاني القرآنية السامية. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)^(٣) وفي رواية أخرى^(٤): (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد). قالوا يا رسول الله: وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه. ثلاث مرات. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة حق على الله عونهم. المجاهد في سبيل الله. والمكاتب الذي يريد الأداء. والناكح الذي يريد العفاف^(٥) وعن عبدالله بن مسعود قال: كنا مع النبي صلى الله

(١) سورة النور ٣٢.

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني: «أيم» ٣٢.

(٣) سنن الترمذي ٣/٣٩٤ حديث رقم ١٠٨٤.

(٤) المرجع السابق ٣/٣٩٥ حديث رقم ١٠٨٥.

(٥) سنن الترمذي ٤/١٥٧ رقم ١٦٥٥.

عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً. فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعشر الشباب، من استطاع (منكم)^(١) الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم. فإنه له وجاء^(٢) يخاطب المصطفى صلى الله عليه وسلم الشباب جمع الشاب وهو ما بين السادسة عشرة إلى الثانية والثلاثين^(٣) قال النووي: اختلف العلماء في المراد بالباء هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أحدهما أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع. فتقديره من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه، وهي مؤن النكاح، فليتزوج. ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منه كما يقطع الوجاء. وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالباً. والقول الثاني أن المراد هنا بالباء مؤن النكاح، سميت باسم ما يلازمها وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته^(٤) قوله: فإنه: أي الصوم: له وجاء: بكسر الواو والمد، أصله الغمز، ومنه وجأة في عنقه إذا غمزه دافعا له، ووجأه بالسيف إذا طعنه به، ووجأ أنثيه غمزهما حتى رضهما^(٥) والأنثيان الخصيتان^(٦) وإذا كان الصوم من وسائل الاستعفاف بغض البصر وحفظ الفرج فإن

(١) زيادة في رواية الحديث رقم ٥٠٦٥ من فتح الباري ١٠٦/٩.

(٢) فتح الباري ١١٢/٩ حديث رقم ٥٠٦٦.

(٣) المرجع السابق ١٠٨/٩.

(٤) المرجع السابق ١٠٨/٩.

(٥) المرجع السابق ١١٠/٩.

(٦) القاموس: «أنث».

أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم الشاب غير القادر على الزواج بالصوم ذو علاقة بأمر الآية الكريمة من سورة النور^(١) الذين لا يجدون نكاحا بالاستعفاف . قال تعالى : ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله . والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا . وآتوهم من مال الله الذي آتاكم . ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا . ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ .

والمؤمنون مأمورون بغض أبصارهم وبحفظ فروجهم . قال تعالى^(٢) : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم . إن الله خبير بما يصنعون﴾ عن علي قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتبع النظر النظر ، فإن الأولى لك ، وليست لك الأخيرة^(٣) بمعنى أن النظرة الأولى غير المتعمدة لا يؤاخذ عليها الانسان ولكنه مؤاخذ على ما وراء ذلك . وفي تقديم الآية الكريمة الأمر بغض البصر وتأخير الأمر بحفظ الفرج دليل على أن النظر إلى الحرام يؤدي إلى ارتكاب جريمة الزنا - لا سمح الله . -

والمؤمنات مأمورات بغض أبصارهن وبحفظ فروجهن وبعدم إبداء زينتهن باستثناء الزينة الظاهرة ، وبأن يضربن بخمرهن على

(١) الآية ٣٣ .

(٢) سورة النور ٣٠ .

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل ٢ / ٣٥١ حديث رقم ١٣٦٩ .

جيوبهن . وبشأن الزينة الباطنة عين الشارع الحكيم الفئات التي تبدي المرأة زينتها لهم ابتداء بالأزواج . قال تعالى^(١) : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ تأمر الآية الكريمة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يأمر المؤمنات بأن يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن وقد أمر بذلك الرجال من ذي قبل . ولما كانت المرأة تنشأ في الحلية وفي الزينة وقد قال الحق جلا وعلا^(٢) : ﴿أومن ينشأ في الحلية وهوفي الخصام غير مبين﴾ فقد تحدثت الآية الكريمة في زينة المرأة خلقةً وحرقةً . إن الآية الكريمة في القول : ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها﴾ تنهي المؤمنات عن إبداء زينتهن إلا ماظهر منها . «فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له ، أو لمن هي محرمة عليه على التأبيد ، فهو آمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها»^(٣) . وبشأن الزينة الظاهرة : «اختلف الناس

(١) سورة النور ٣١ .

(٢) سورة الزخرف ١٨ .

(٣) تفسير القرطبي ٤٦١٩ . طبعة الشعب القاهرة .

في قدر ذلك، فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب، وزاد ابن جبير الوجه. وقال سعيد بن جبیر أيضا وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب. وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة: ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة والفتخ^(١) ونحو هذا فمباح أن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس^(٢) «وقد قال ابن خويز منداد من علمائنا: إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك، وإن كانت عجوزا أو مقبحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها»^(٣) و«من الزينة ظاهر وباطن. فما ظهر فمباح أبدا لكل الناس من المحارم والأجانب، وقد ذكرنا ما للعلماء فيه. وأما ما بطن فلا يحل إبداءه إلا لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية، أو حل محلهم»^(٤).

وإن الآية الكريمة في القول: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** تأمر المؤمنات بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن وصدورهن. «والخمر: جمع الخمار، وهو ما تغطي به رأسها، ومنه اختمرت المرأة وتخمرت، وهي حسنة الخمرة. والجيوب: جمع الجيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص، وهو من الجوب وهو القطع»^(٥) فالجيب من الثوب الموضع الذي يدخل

(١) الفتخ بفتح الحاء جمع الفتحة: حلقة كالخاتم لا فص فيها.

(٢) تفسير القرطبي ٤٦٢٠. طبعة الشعب القاهرة.

(٣) المصدر السابق ٤٦٢١.

(٤) المصدر السابق ٤٦٢١ «من علماء هذا العصر الذين ذهبوا إلى أن الوجه من الزينة الباطنة الشيخ أبو الأعلى المودودي أنظر الحجاب فصل: حكم الوجه ٢٨٤-٣٠٦ ومن الذين ذهبوا إلى أن الوجه من الزينة الظاهرة ولكن من الأولى ستره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: حجاب المرأة المسلمة ٤١».

(٥) تفسير القرطبي ٤٦٢٢. طبعة الشعب القاهرة.

الشخص منه رأسه فإذا ارتدت المرأة درعها او قميصها كانت بحاجة إلى أن تسدل خمار رأسها وغطاءه إلى صدرها كي لا يبين شيء منه (١).

وقوله تعالى: ﴿أو نسائهن﴾ يعنى المسلمات (٢) والشريفات وذوات العفة والحياء من غير المسلمات لا جرم أنهن يدخلن في حكم ﴿نسائهن﴾ من الآية المذكورة (٣).

وقوله تعالى: ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ أولي الحاجة. والإربة الحاجة (٤) وغير أولي الإربة من الرجال: غير أصحاب الحاجة من الرجال إلى النساء (٥).

وقوله تعالى: ﴿أو الطفل الذي لم يظهرهوا على عورات النساء﴾ أو الأطفال الذين لم يطلعوا بالوطء، أي لم يكشفوا عن عوراتهن للجماع لصغرهم (٦).

وقوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زيتهن﴾ أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها. فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة واشد. والغرض التستر (٧).

(١) في كتابنا: تأملات في سورة الأحزاب ٤٨٦ - ٤٩٣ درسنا الكلمات الثلاث: الخمار، الجلابيب، الرداء.

(٢) تفسير القرطبي ٤٦٢٥.

(٣) الحجاب ٢٨٧.

(٤) تفسير القرطبي ٤٦٢٦.

(٥) الجلالين.

(٦) تفسير القرطبي ٤٦٢٨ وفي الأصل: لصغرن.

(٧) تفسير القرطبي ٤٦٢٩.

ولما كانت أمهات المؤمنين - رضوان الله تعالى عليهن أجمعين -
الأسوة الحسنة للمؤمنات فإن الدروس القرآنية الموجهة اليهن يقصد
بها النساء المؤمنات عموماً . ومن هذه الدروس القرآنية مايكمل به
الطهر والعفاف . ومما جاء في ذلك قول الحق جل وعلا في سورة
الأحزاب^(١) : ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ . إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا
تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا .
وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ
مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ . إِنْ اللَّهُ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ .

إن نساء المصطفى صلى الله عليه وسلم ينادين ويوصفن بأنهن
لسن كأحد من النساء . والمعنى : «لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء . أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم
توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة . ومثله
قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْهُمْ﴾ يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم
على الحق المبين^(٢) . «فكما أنه عليه السلام ليس كأحد من الرجال
كما قال عليه السلام : لست كأحدكم ، كذلك زوجاته اللاتي
تشرفن به»^(٣) وإن من مظاهر تقوى النساء انهن حينما تضطر

(١) الآيات ٣٢-٣٤ .

(٢) الكشف ٥٣٧/٢ .

(٣) البحر المحيط ٢٢٨/٧ .

الواحدة منهن لمخاطبة الرجال الأجانب لا تخضع بالقول ولا تلين فيه فيطمع الذي في قلبه مرض النفاق فيها بل على المرأة المسلمة أن يكون قولها أقرب إلى الصرامة والجد والاستقامة مقصوراً على الضروري منه وتلك الصفات من مقومات القول المعروف شرعاً وعقلاً.

وبعد ذكر ما له علاقة بالقول من الصفات الحسنة يأتي دور الفعل، إن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن الأسوة الحسنة للمؤمنات بمأمورات بأن يبقين في بيوتهن وألا يخرجن منها إلا لضرورة ملحة. إن في البقاء في المنزل القرار والوقار. وإن من ألطف ما يحسن الإشارة إليه أن ثمة قراءتين بشأن جملة: «قرن» تتعلق إحدهما بالقرار وتتعلق أخراهما بالوقار. يقول على سبيل المثال الطبري^(١): «واختلف القراء في قراءة قوله: وقرن في بيوتكن. فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين: وقرن، بفتح القاف بمعنى واقررن في بيوتكن. وكأن من قرأ كذلك حذف الراء الأولى من: اقررن وهي مفتوحة، ثم نقلها إلى القاف. كما قيل: فظلمتم تفكهون، وهو يريد: فظلمتم. فأسقطت اللام الأولى وهي مكسورة ثم نقلت كسرتها إلى الظاء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة: وقرن، بكسر القاف، بمعنى كن أهل وقار وسكينة في بيوتكن»^(٢).

وكما أن أمر النساء بالقرار في البيوت دليل الوقار فقد نهين أن يتبرجن

(١) تفسير الطبري ٣/٢٢.

(٢) أنظر تفصيل هذا الكلام في تفسير القرطبي ٥٢٦٠. طبعة الشعب القاهرة.

تبرج الجاهلية الأولى، والتبرج هو إظهار الزينة وإبراز المرأة محاسنها للرجال^(١) والتبرج ذو علاقة بالبروج بمعنى القصور الواحد برج، وبه سمى بروج السماء منازلها المختصة بها، ومن متعلقات البروج الظهور والحسن ومن هنا قيل: تبرجت المرأة إذا أظهرت محاسنها^(٢) وبعد التخلية فلا خضوع بالقول ولا خروج من البيوت ولا تبرج تأتي التحلية فيؤمنون صلوات الله تعالى وسلامه عليهن بإقام الصلاة عماد العبادات البدنية، وإيتاء الزكاة عماد العبادات المالية، وبطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة، وبذكر ما يتلى في بيوتهن صلوات الله وسلامه عليهن أجمعين من آيات الله تعالى بينات ومن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الموحى بها والمبينة للقرآن الكريم. ويكون الذكر من زاوية التذكر وعدم النسيان والغفلة، ومن زاوية الذكر باللسان في مجال الدعوة إلى الله تعالى والتبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن زاوية ترجمة التذكر وعدم النسيان إلى عمل^(٣) وينص السياق على الغاية الحميدة من كل هذه الدروس القرآنية السامية: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» «والرجس يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص. فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت»^(٤) وإن هذه الصفات المرغوب عنها والتي أذهبها الله تعالى

(١) تفسير الطبري ٤/٢٢.

(٢) أنظر مفردات الراغب الأصفهاني: «برج» ٤١ ومعجم مقاييس اللغة «برج» ١/٢٣٨.

(٣) بينا هذا المعنى بالتفصيل في: تأملات في سورة الأحزاب ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٤) البحر المحيط ٧/٢٣١.

عن امهات المؤمنين الأسوة الحسنة للمؤمنات من أهم مقومات الطهر والعفاف في المرأة المسلمة .

وما الذي يجب على المرأة المسلمة الطاهرة الذيل العفيفة حينما تضطر للخروج من منزلها؟ الجواب في الآية الكريمة التالية من سورة الأحزاب^(١) قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ . ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ . وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ونحن حينما نقف على ما فسر به العلماء الجلباب كسرداب وسنمار والجمع الجلابيب^(٢) فإننا نستطيع أن نتبين موجز ما قالوا في قول أبي حيان^(٣) : قيل : والجلابيب الأردية التي تستر من فوق إلى أسفل . وقال ابن جبير : المقانع . وقيل : الملاحف . وقيل : الجلباب كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها ، وقيل : كل ماتستتر به من كساء أو غيره ، قال أبو زيد :

تجلبت من سواد الليل جلبابا

وقيل : الجلباب أكبر من الخمار .

وحينما نعلم أن الخمار من المرأة كالعمامة من الرجل ، تغطي به المرأة رأسها وترسله على نحرها وصدرها كيلا يبين شيء منهما ، مما يمكن ظهوره من جوب القميص والثوب ، أي من قطع القميص والثوب والمكان الذي تدخل المرأة منه رأسها في القميص أو الثوب ، نتبين أن الجلباب نوع من الثياب غير الخمار وغير القميص

(١) الآية ٥٩ .

(٢) أنظر مثلا القاموس المحيط ولسان العرب : «جلب»

(٣) البحر المحيط ٢٥٠ / ٧ .

أو الدرع وأن من سماته أنه يستر كامل الجسم وأنه ثوب واسع فضفاض . وأن ستر كامل الجسم يفهم من القول :

تجلبت من سواد الليل جلبابا

لأن سواد الليل ساتر كل شيء وكل جسم .

وتنص الآية الكريمة على الحكمة من إدناء الجلابيب وإرسالها سابعة كي تغطي كامل الجسم : « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » والمعنى أن هذا الزى الإسلامي المحتشم يعرف منه مرضى النفوس والقلوب أن صوابه عفيفات شريفات طاهرات .

ويتصل بأمر الله تعالى المؤمنات بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن في سورة النور وبأن يدين عليهن من جلابيبهن في سورة الأحزاب آية الحجاب في سورة الأحزاب . قال تعالى ^(١) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِ إِيَّاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ . وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ . ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ . وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا . إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ويتضح معنى الآية الكريمة من معرفة سبب نزولها . قال أنس بن مالك : أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب ^(٢) يقول

(١) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٢٧ حديث رقم ٤٧٩٢ .

أنس رضي الله عنه : بني على النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً ، فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون . فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعو فقلت : يا بني الله ما أجد أحداً أدعوه فقال : فارفعوا طعامكم . وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت . فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله . فقالت : وعليك السلام ورحمة الله ، وكيف وجدت أهلک بارك الله لك . فتقرى حجر نسائه كلهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة . ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج مطلقاً نحو حجرة عائشة ، فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا . فرجع حتي وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب»^(١) قوله : فتقرى ، بفتح القاف وتشديد الراء بصيغة الفعل الماضي ، أي تتبع الحجرات واحدة واحدة^(٢) قوله : فما أدري أخبرته أو أخبر : مبني للمجهول أي أخبر بالوحي^(٣) والاسكفة : عتبة الباب التي يوطأ عليها^(٤) .

تنادي الآية الكريمة الذين آمنوا لأنهم هم المستفيدون من آداب

(١) فتح الباري ٨/ ٥٢٧ حديث رقم ٤٧٩٣ .

(٢) المرجع السابق ٨/ ٥٣٠ .

(٣) المرجع السابق ٨/ ٥٣٠ .

(٤) لسان العرب : «سكف» .

القرآن الكريم وتوجيهاته وتنهاهم عن دخول بيوت النبي صلى الله عليه وسلم دون دعوة وربما دون إذن متحيين الوقت الملائم للدخول لتناول الطعام منتظرين دون ملل نضجه وإذا انتهى الطعام أنس بعضهم بعضا بالحديث . إن الآية الكريمة تسمح لهم بالدخول لتناول الطعام حينما يدعون لذلك وحينما يؤذن لهم بالدخول وفي الوقت المناسب وليس قبل الوقت المناسب بأن ينتظروا إنى الطعام بمعنى نضجه وإدراكه وبلوغه^(١) إنهم إذا دعوا دخلوا . فإذا أكلوا انصرفوا غير مستأنسين لحديث من بعضهم لبعض . إن ذلكم المكث كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فيستحيي منكم أن يخرجكم والله تعالى لا يستحيي من الحق أن يبينه لكم . وإذا سألتهم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم متاعا فأسألوهن من وراء حجاب ومن خلف ستر . إن ذلكم أظهر لقلوبكم من الخواطر المريبة وقلوبهن . وما كان لكم ولا صح أن تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعد وفاته أبدا . إن الأذى والزواج كان عند الله تعالى ذنبا عظيما وإثما مبينا^(٢) ويقول ابن كثير^(٣) : «ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين - كما تقدم - واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله :

(١) لسان العرب : « أنى » .

(٢) أنظر مثالا تفسير الطبري ٣٠ / ٢٢ وتفسير القرطبي ٥٣١٢ . طبعة الشعب القاهرة .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٠٦ / ٣ .

﴿من بعده﴾ أم لا . أما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا . والله أعلم .

ومن البين علاقة الآية الكريمة بالاستئذان إضافة إلى الحجاب . والمعروف أن الشارع الحكيم قد أذن للقواعد من النساء عن الحيض والولد لكبرهن اللاتي لا يرجون نكاحا بسبب ذلك أن يضعن ثيابهن من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار شريطة ألا يتبرجن بزينة . والأفضل من ذلك أن يستعفنن بألا يضعن ثيابهن . قال تعالى^(١) : ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة . وأن يستعفنن خير لهن والله سميع عليم﴾ .

(ج) الاستئذان :

لقد جاء بشأن الاستئذان لدخول غير بيوتنا وبشأن دخول البيوت غير المسكونة التي فيها متاع لنا قول الحق جل وعلا^(٢) : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على أهلها . ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتي يؤذن لكم . وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم . والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم . والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ إن رب العزة ينهى الذين آمنوا أن يدخلوا بيوتا غير

(١) سورة النور ٦٠

(٢) سورة النور ٢٧ - ٢٩ .

بيوتهم حتى يستأنسوا ويسلموا على أهلها. والمراد بالاستئناس الاستئذان بتحنح ونحوه عند الجمهور^(١) وأخرج الطبري من طريق قتادة قال: الاستئناس هو الاستئذان ثلاثا، فالأولى لسمع، والثانية ليتأهبوا له، والثالثة إن شاءوا أذنوا له وإن شاءوا ردوا. والاستئناس في اللغة طلب الايناس وهو من الأنس بالضم ضد الوحشة^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع^(٣) ولم يكتف الشارع الحكيم بالاستئذان بل أردف ذلك بالقاء السلام بمعنى الأمن والطمأنينة. إن الاستئناس وإلقاء السلام خير لنا لعلنا نتعظ. فإن لم نجد أحدا فليس من حقنا أن ندخل حتى يؤذن لنا. وإن قيل لنا ارجعوا فعلينا الرجوع، هو أذكى لنا وأطهر. والله تعالى عليم بما نعمل. وبشأن البيوت غير المسكونة والتي لنا فيها متاع ليس علينا جناح ولا اثم أن ندخلها وعلينا جميعا أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما نبدي وما نكتم: ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾^(٤).

وإن الحديث النبوي الشريف التالي يبين أهمية الاستئذان من أجل البصر. عن أنس بن مالك أن رجلا أطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص - أو بمشاقص - فكأنني أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه^(٥)

(١) فتح الباري ٨/١١.

(٢) المرجع السابق ٨/١١.

(٣) المرجع السابق ٢٧/١١ حديث ٦٢٤٥.

(٤) سورة النور ٦١.

(٥) فتح الباري ٢٤/١١ حديث رقم ٦٢٤٢.

المشقص بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه : نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض^(١) ويختل بفتح أوله وسكون المعجمة وكسر المثناة : أي يطعنه وهو غافل^(٢) إن النبي صلى الله عليه وسلم هم بأن يطعن بالمشقص عين الذي نظر من ثقب حائط حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم . وقد جاء في الحديث الآخر بشأن الحادثة ذاتها قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل : (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك . إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)^(٣) ومن حديث عبد الله بن بسر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر^(٤) وإذا بلغ الأطفال الحلم وهو زمان البلوغ^(٥) عليهم أن يستأذنوا في كل الأوقات . قال تعالى : ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم . كذلك بين الله لكم آياته . والله عليم حكيم﴾ أما قبل أن يبلغ الأطفال الحلم وكذلك المماليك فإن عليهم أن يستأذنوا في ثلاث أوقات يكون فيها عادة التخفف من الثياب ، وفيما عدا هذه الأوقات الثلاثة لا يستأذنون لأنهم طوافون بالخدمة على أهل المنزل . قال تعالى^(٦) : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة

(١) فتح الباري ٢٥ / ١١ .

(٢) المرجع السابق ٢٥ / ١١ .

(٣) المرجع السابق ٢٤ / ١١ حديث ٦٢٤١ .

(٤) المرجع السابق ٢٥ / ١١ .

(٥) مفردات الراغب الاصفهاني : «حلم» ١٢٩ .

(٦) سورة النور ٥٨ .

الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهير ومن بعد صلاة العشاء .
ثلاث عورات لكم . ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض . كذلك يبين الله لكم الآيات . والله
عليم حكيم ﴿

(٦)

حماية حقوق الأسرة المسلمة



(أ) حقوق الآباء والأمهات :

ما أكبر عناية القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالوالدين والحث على برهما . ومن أقوى الأدلة على ذلك الجمع في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف في العديد من المواضع بين توحيد الله تعالى وبر الوالدين . جاء مثلاً في سورة الإسراء^(١) قوله تعالى : **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾** إن رب العزة قد قضى وفرض وكتب ألا نعبد إلا إياه جل وعلا وأن نحسن بالوالدين إحسانا . وأنظر إلى بلاغة التعبير وإعجاز النظم في التقديم والتأخير الذي يتجلى في قوله تعالى : **﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾** ويتضح روعة التقديم والتأخير وهما من مقومات علم المعاني بل إنهما صلب علم المعاني أو ما يصح أن يسمى بنظرية النظم التي أرسى قواعدها الإمام النحوي والبلاغي الأ شهر عبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١هـ^(٢) في كتابه دلائل الإعجاز على جهة الخصوص . وكأن أصل الكلام : إما يبلغن أحد والديك أو كلاهما الكبر عندك . وإذا أردنا التفاؤل الأكبر قلنا كأن الأصل : إما يبلغن كلا والديك أو أحدهما الكبر عندك . ومن البين أن تعبيرنا وأد كلا

(١) الآية ٢٣ و ٢٤ .

(٢) أنظر مثلاً الاعلام لخير الدين الزركلي ٤/ ٤٨ عبد القاهر بن عبد الرحمن ابن محمد

الجرجاني ، ابوبكر .

من المعنى وحلاوة الجرس في الجزئية من الآية الكريمة . إن هذه الجملة الفعلية يأتي بعد الفعل فيها مباشرة ظرف المكان «عند» وقد لحق به الضمير العائد إلى المخاطب . وفي ذلك تنبيه إلى أن المخاطب سيكون عنده وفي كنفه ورعايته ومعيته من سيتناوله السياق بالحديث . ولما كان الحديث في صدر الآية الكريمة عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وعن بر الوالدين وذلك في القول : **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾** كانت النفس مستعدة لأن تفهم بأن الحديث سوف يتجه إلى الوالدين . والمعروف أن الظرف فضلة وحقه التأخير . ومع ذلك فقد تقدم بسبب المعنى حتي لا مجال لمزيد من التقديم . وقد تأكد ما استعدت النفس لفهمه من اتجاه الحديث إلى الوالدين حينما جاء بعد الظرف المقدم الذي حقه التأخير المفعول به : «الكبر» مقدما ، وحقه ، كما هو معروف ، التأخير عن الفاعل من وجهة الصناعة النحوية . وإن تقديم المفعول به أكد ما استعدت النفس لفهمه من احتمال اتجاه الحديث إلى الوالدين وأيدت هذا الفهم لأن صفة الكبر ترشح لاتجاه الحديث عن الوالدين اللذين أمرت الآية الكريمة في صدرها الأبناء ببرهما . وفي المثل المشهور : «من سره بنوه ساءته نفسه»^(١) فإذا جاء الفاعل المتأخر : «أحدهما» تحقق ماتوقعته النفس وكان مجئ القول : «أحدهما» الذي يشير إلى الحالة الغالبة من كون الابن إنما يكون رجلا مسؤولا في وقت تكون فيه المنية قد اخترمت أحد الوالدين فبقي الآخر وحيدا أحوج الناس لبر الابن أو الأبناء وإحسانهم

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٣٠٠ مثل رقم ٤٠١٨ .

أليه. ويعطف على القول الذي يشير إلى الحالية الغالبة: «أحدهما» القول الذي يشير إلى الحالة الأخرى الأقل احتمالا والتي تدل على بقاء الوالدين معا حين يرزقان: «أو كلاهما».

إن نظم الجزئية الكريمة الذي يكشف عن المعنى تباعا يذكرنا بالوجه الباسم للقمر الذي تنقش عنه السحب قليلا قليلا. أو بالوجه المشرق للشمس حينما تكشف السحب عن حاجب لها ثم تتبعه بكشف الحاجب الآخر الذي ضنت به أول الأمر. وإن هذا المعنى يذكرنا بقول الشاعر الأوسي الجاهلي الشربي قيس بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب^(١)

وما هو جواب الشرط في القول: «إما يبلغن...»؟ الجواب في قوله تعالى: **﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾** إن كلمة التضجر: «أف» وهي اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر^(٢) غير مسموح للابن أو البنت أن يقولها لأحد والديه ومن باب الأخرى والأولى ألا ينهرهما وألا يزرهما. وإذا كان الحديث هنا يتعلق بالقول الذي ينبغي أن يكون كما أمر الحق جل وعلا: **﴿وقل لهما قولا كريما﴾** فإن الآية الكريمة التالية تتعلق بالفعل وبالدعاء. قال تعالى: **﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾** إن الواجب على الابن أن يخفض

(١) ديوان قيس بن الخطيم ٧٩ الطبعة الثانية بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

(٢) الجدول في اعراب القرآن وصرفه ٢٨/٨.

لوالديه جناح الذل بسبب الرحمة لهما والبر بهما. والجناح من الإنسان جانبه ويدخل فيه يده. وقد استعير اللفظ من الطائر بسبب ما يتسم به الجناح من اللين والطواعية عموماً وبسبب ما يتسم به الجناح من الانخفاض عند التّطامن والهبوط خصوصاً. ويتوج القول الحسن والفعل الحسن بدعاء الله تعالى أن يرحمهما بسبب التربية للابن حينما كان صغيراً. ومن البين التشابه بين ضعف الوالدين في الكبر وضعف الأبناء في الصغر. إن كلا منهما وقت ضعفه شديد الحاجة للآخر^(١) فعلى كل ابن وبنت أن يهتبل الفرصة وليحرص على نيل حظه من بر والديه والاقتباس من مشكاة هذا الحديث النبوي الشريف^(٢) «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان فأنسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة. قال رباعي^(٣): ولا أعلمه إلا قال: أو أحدهما. إن هذه المعاني النبيلة السامية ذكرتني بمقطوعة نظمها في حدود سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجرية. وخير ما في المقطوعة عاطفتها:

وفي ليلة من ليالى الشتاء تسترت الأنجم الزاهية
وقد جمدت في العروق الدماء وقيدت الألسن الداعية
وعز الصديق وفر الرفيق وكل يقول أيا ذاتية
بسابحة في التهام الطريق كفر الظباء من الرامية

(١) درسنا الآيتين الكريمتين في: تأملات في سورة الإسراء ١٠٢-١١٥.

(٢) المسند للإمام أحمد بن حنبل ١٨٩/١٣ حديث رقم ٧٤٤٤.

(٣) راوي الحديث. المسند ١٨٩/١٣.

هنالك قلبان لم يهجعا
 لفلذة قلبيين أن يفزعا
 إذا ضمه الأب في صدره
 تقول وتمسح في ظهره
 يكرر إصلاح أثوابه
 ولكن قلبا ضنينا به
 وأطرقت أسبح في ذكريات
 وساءلت نفسي هل أخريات
 فكان الجواب لهيبا يفور
 أرباه أنت العفو الغفور
 ووجهت وجهي نحو السماء
 وأرسلتها دعوة في الفضاء
 وأعين لما تنم ثانية
 فتقلب دنياهما حامية
 تداريه والدة حانية
 ألا نم عيونني في عافية
 وليس بأثوابه نايبه
 يلذ الشقاء فدا غاليه
 وأذني لما تعد واعية
 تقاصر عن وعيها بالية؟
 يوجج قلبي وأحشائه
 وسالت دموعي بآماقيه
 وقلبي ملئ بآماليه
 جزاؤكما الجنة العالية

ومن الآيات الكريمة التي جمعت بين الأمر بالتوحيد وبين
 الأمر بالإحسان إلى الوالدين قول الحق جل وعلا في سورة
 النساء^(١): ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا
 وبذي القربى واليتامي والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب
 والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم . إن الله لا يحب
 من كان مختالا فخورا﴾ وقول الحق جل وعلا في سورة
 الأنعام^(٢): ﴿قل تعالوا أثل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا
 وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم
 وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس
 التي حرم الله إلا بالحق . ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾

(١) الآية ٣٦ .

(٢) الآية ١٥١ .

وللوالدة حظ أكبر من البر في قول الحق جل وعلا^(١): ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ وفي قول الحق جل وعلا^(٢): ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً. حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً. حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين. أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ بل إن بر الوالدين يشمل المشركين. وفي هذا المعنى جاء قول الحق جل وعلا^(٣): ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً. وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما. إلي مرجعكم فأنتحكم بما كنتم تعملون﴾ وقول الحق جلا وعلا^(٤): ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي. ثم إلي مرجعكم فأنتحكم بما كنتم تعملون﴾.

وإن هذه المعاني القرآنية السامية تبينها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذه طائفة منها. عن عبدالله بن مسعود^(٥) قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال بر الوالدين.

(١) سورة لقمان الآية ١٤.

(٢) سورة الأحقاف ١٥ و ١٦.

(٣) سورة العنكبوت ٨.

(٤) سورة لقمان ١٥.

(٥) جاء النص عن ابن مسعود في سنن الترمذي ٢٧٤/٤ حديث رقم ١٨٩٨.

قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال حدثني بهن، ولو استزدته لزادني^(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أبوك^(٢) ومن العلماء من فهم أن مقتضى الحديث أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع. فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية. وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين﴾ فسوى بينهما في الوصاية، وخص الأم بالأمور الثلاثة قال القرطبي: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند المزاومة^(٣) وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثا: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال ي قولها حتي قلت لا يسكت^(٤) ورواية الترمذي^(٥): «فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتي قلنا ليته سكت» وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أجاهد. قال:

(١) فتح الباري ١٠/٤٠٠ حديث رقم ٥٩٧٠.

(٢) المرجع السابق ١٠/٤٠١ حديث رقم ٥٩٧١ وسنن الترمذي ٤/٢٧٣ حديث رقم ١٨٩٧.

(٣) المرجع السابق ١٠/٤٠٢.

(٤) المرجع السابق ١٠/٤٠٥ حديث رقم ٥٩٧٦ و٥٩٧٧.

(٥) سنن الترمذي ٤/٢٧٥ حديث رقم ١٩٠١.

لك أبوان؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد^(١) وعن المغيرة بن شعبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعا وهات^(٢) ووأد البنات. وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال^(٣) وعن ابن عمر قال: أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، أذنبت ذنبا كثيرا، فهل لي توبة؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك والدان؟ قال: لا، قال: فلك خالة؟ قال: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبرها إذن^(٤) وعن أسماء^(٥) قالت: قدمت أمي وهي مشركة - في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم - مع أبيها، فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة^(٦) قال: نعم، صلي أهلك^(٧) وجاءت هذه الزيادة في رواية أخرى للحديث^(٨): «قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾»^(٩) وعن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه فقال: فما يأمر؟ يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة^(١٠).

(١) فتح الباري ٤٠٣/١٠ حديث رقم ٥٩٧٢.

(٢) منع مصدر منع يمنع. والحاصل من النهي منع ما أمر باعطائه وطلب ما لا يستحق اخذه.

(٣) فتح الباري ٤٠٥/١٠ حديث رقم ٥٩٧٥.

(٤) المسند ٢٨٤/٦ حديث رقم ٤٦٢٤.

(٥) هي أسماء ابنة أبي بكر كما جاء في حديث رقم ٥٩٧٨ فتح الباري ٤١٣/١٠.

(٦) المراد راغبة في صلتني. فتح الباري ٤١٣/١٠.

(٧) المرجع السابق ٤١٣/١٠ حديث رقم ٥٩٧٩.

(٨) حديث رقم ٥٩٧٨. المرجع السابق ٤١٣/١٠.

(٩) الآية رقم ٨ من سورة الممتحنة.

(١٠) فتح الباري ٤١٣/١٠ حديث رقم ٥٩٨٠.

(ب) حقوق الأبناء :

وإذا كان الأبوان أو الزوجان يكوّنان اللبنة الأولى في كل أسرة جديدة، وكان الأبناء ثمرة الزواج، وإذا كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد أوصى كل منهما بالوالدين خيرا فإن محبة الوالدين للأبناء لما كانت فطرية فإن القرآن الكريم لم يوص الآباء بالأبناء بطريق مباشر. ويصح أن نفهم أن القرآن الكريم أوصى الآباء بالأبناء بطريق غير مباشر، والمعروف أن في القرآن الكريم وصية واحدة للآباء بالأبناء وهي وصية متعلقة بالمال والعدل والانصاف في إعطاء كل ذي حق حقه من المال وذلك في قول الحق جل وعلا^(١): ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِي﴾ أما في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فثمة الكثير من التوجيهات النبوية الشريفة للآباء في حق الأبناء. وبشأن الإيصال للآباء في القرآن الكريم بطريق غير مباشر يصح أن نفهمه من قول الحق جل وعلا^(٢): ﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فُأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ. كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ إن القول في الآية الكريمة: ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ يصح أن يبين معناه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه^(٣) لسعد بن أبي وقاص:

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سورة البقرة ٢٦٦.

(٣) رياض الصالحين ٧.

«إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة»^(١) يتكفون الناس»^(٢) كما يصح أن نفهم إيصاء الآباء بطريق غير مباشر من قول الحق جل وعلا^(٣): ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً. إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً﴾ إن على الأوصياء أن ينزّلوا اليتامى منزلة أبنائهم وبناتهم . فكما يحرص الآباء بالغريزة والفطرة على مصلحة أبنائهم وذراريهم في كل المجالات بما في ذلك مجال المال ، عليهم أن يحرصوا على المصلحة ذاتها لليتامي ولذراري الآخرين الذين انتقلوا إلى رحمة الله تعالى وأصبح هؤلاء الأحياء بإذن الله تعالى أوصياء على تلك الذرية .

وبشأن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أكثر الأحاديث النبوية الشريفة التي توصي بالأبناء خيراً والتي نستطيع أن نقول إنها تعميق لمعنى هذا الحديث النبوي الشريف : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)^(٤) وإليك هذا الحديث في العدل بين الأولاد . عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال وهو على المنبر : أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتي تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة

(١) عالة : فقراء .

(٢) رياض الصالحين ٧ .

(٣) سورة النساء ٩ و ١٠ .

(٤) سنن الترمذي ٤ / ٢٨٣ حديث رقم ١٩١٩ وأنظر رقم ١٩٢٠ و ١٩٢١ .

عطية ، فأمرني أن أشهدك يا رسول الله . قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال : لا . قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال فرجع فرد عطيته^(١) وما أكثر الأدلة من سنته صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية على رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغار وحبهم لهم وعطفه عليهم وبخاصة البنات . وإليك هذه الأحاديث في تلك المعاني النبيلة السامية . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين - وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام^(٢) فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه . ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وإبراهيم يجود بنفسه - فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذر فان . فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله؟ فقال : يا ابن عوف إنها رحمة . ثم أتبعها بأخرى^(٣) فقال صلى الله عليه وسلم : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون^(٤) وعن ابن أبي نعيم قال : كنت شاهدا لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض فقال : ممن أنت؟ قال : من أهل العراق . قال : انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه

(١) فتح الباري ٢١١/٥ حديث رقم ٢٥٨٧ .

(٢) ظئرا بكسر المعجمة وسكون التحتانية المهموزة بعدها راء أي مرضعا . وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة . وأصل الظئر من طارت الناقة إذا عطف على غير ولدها ف قيل ذلك لثني ترضع غير ولدها . وأطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركها في تربيته غالبا . فتح الباري ١٧٣/٣ .

(٣) قيل أراد به أنه أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى . وقيل أتبع الكلمة الأولى المجملة وهي قوله : «إنها رحمة» بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله : إن العين تدمع . فتح الباري ١٧٤/٣ .

(٤) فتح الباري ١٧٢/٣ حديث رقم ١٣٠٣ .

وسلم^(١) وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: هما ريحائتا من الدنيا^(٢) والمعنى أنهما (الحسن والحسين) مما أكرمني الله وحباني به، لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين. وقوله: من الدنيا، أي نصيبي من الريحان الدنيوي^(٣) وعن عبدالله بن أبي بكر أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار^(٤) فلنقارن بين عناية الإسلام بالبت وبين وأد أهل الجاهلية لهن خوف العار في المقام الأول. وعن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها^(٥) وأمامة هذه بنت أبي العاص بن الربيع، وهي ابنة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من لا يرحم

(١) يعني الحسين بن علي. فتح الباري ٤٢٧/١٠.

(٢) فتح الباري ٤٢٦/١٠ حديث رقم ٥٩٩٤.

(٣) المرجع السابق ٤٢٧/١٠.

(٤) المرجع السابق ٤٢٦/١٠ حديث رقم ٥٩٩٥.

(٥) المرجع السابق ٤٢٦/١٠ حديث رقم ٥٩٩٦.

(٦) المرجع السابق ٤٢٩/١٠.

لا يرحم^(١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة^(٢) وعن أبي عثمان النهدي يحدث عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما^(٣) وعن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: لا تنزع الرحمة إلا من شقي^(٤) وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحم شجنة^(٥) من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله^(٦) وعن انس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الخنث^(٧) إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم^(٨) وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي

(١) فتح الباري ٤٢٦/١٠ حديث رقم ٥٩٩٧ وأنظر حديث رقم ٦٠١٣. فتح الباري ٤٣٨/١٠.

(٢) المرجع السابق ٤٢٦/١٠ حديث رقم ٥٩٩٨.

(٣) المرجع السابق ٤٣٤/١٠ حديث رقم ٦٠٠٣.

(٤) سنن الترمذي ٢٨٥/٤ حديث رقم ١٩٢٣.

(٥) الشجنة، بكسر الشين وضمها: عروق الشجر المشتبكة، وهنا أن الرحم مشتقة من الرحمن. والمعنى أنها قرابة من الله تعالى مشتبكة كاشتباك العروق.

(٦) سنن الترمذي ٢٨٥/٤ حديث رقم ١٩٢٤.

(٧) الخنث بكسر المهملة وسكون النون بعدها مثلثة، المعنى لم يبلغوا الحلم فتكتب عليهم الآثام. فتح الباري ١٢٠/٣.

(٨) المرجع السابق ١١٨/٣ حديث رقم ١٢٤٨.

صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا يوما. فوعظهن وقال: أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابا من النار. قالت امرأة: واثنان. قال: واثنان^(١) وإن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة في رحمته للخادم وبخاصة حينما يكون صغير السن. عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف^(٢) ولا لم صنعت؟ ولا ألا صنعت^(٣) وأنس بن مالك رضي الله عنه نجاري خزرجي أنصاري ولد سنة عشر قبل الهجرة بالمدينة المنورة أسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض عليه الصلاة والسلام^(٤).

وإن الإسلام الذي هو دين الوسطية في كل الأمور مع حثه على الرحمة بالصغير والتوقير للكبير ينهى عن الإسراف في الحب والتماذي في الهوى إلى الحد الذي ينتهي بالمسلم - لا سمح الله - إلى إثارة المصلحة الخاصة على المصلحة العامة. ويتضح هذا الدرس القرآني العظيم من تأمل قول الحق جل وعلا^(٥): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ جاء في سبب نزول الآيتين الكريميتين في تفسير ابن

(١)فتح الباري ١١٨/٣ حديث رقم ١٢٤٩.

(٢)أف: اسم فعل مضارع بمعنى اتضجر.

(٣)فتح الباري ٤٥٦/١٠ حديث رقم ٦٠٣٨.

(٤)الأعلام للزركلي أنس بن مالك ٢٤/٢ وانظر فتح الباري ٤٥٩/١٠ و ٤٦٠.

(٥)سورة الأنفال ٢٧ و ٢٨.

كثير^(١): (قال عبد الرزاق عن أبي قتادة والزهري: أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح. ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله فحلف لا يذوق ذواقا^(٢) حتي يموت أو يتوب الله عليه. وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فمكث كذلك تسعة أيام حتي كان يخر مغشيا عليه من الجهد حتي أنزل الله توبته على رسوله. فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه من السارية فحلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فحله. فقال يارسول الله: إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة، فقال: يجزيك الثلث أن تصدق به) وإنما فعل أبو لبابة ذلك لأن ماله وعياله وولده كانت عند بني قريظة^(٣) وفي الصحيحين قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عام الفتح. فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطبا فأقر بما صنع. فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله: ألا أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فقال: دعه فإنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم^(٤)) وقد صرح حاطب بأنه إنما فعل ذلك لأن أهله بين

(١) ٣٠٠/٢ وانظر أسباب النزول ٢٦٩.

(٢) في أسباب النزول ٢٧٠: «لا يذوق فيها طعاما».

(٣) أنظر أسباب النزول ٢٦٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٣٠١/٢ وانظر أسباب النزول ٤٨٥ - ٤٨٧.

ظهراني أهل مكة فخشي على أهله وأراد أن يتخذ عند أهل مكة
يدا، وقد علم أن الله تعالى ينزل بهم بأسه، وأن كتابه لا يغنى
عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فنزلت
سورة الممتحنة^(١): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي
سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ. وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢) وقد جاء
في سورة التغابن^(٣) قول الحق جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ
مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَاؤُكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ. وَإِنْ تَعَفَّوْا
وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ. وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي سبب نزول الآيتين الكريميتين قيل
إنهما نزلتا في الذين حال أهلهم وأولادهم بينهم وبين الهجرة
فأطاعوهم وحينما عرفوا ما فاتهم بسبب التأخر في الهجرة هموا
بمعاينة أهلهم الذين منعوهم فطلب منهم العفو والصفح^(٤) روي
عن خولة بنت حكيم أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم وهو متحضرن أحد ابني ابنته وهو يقول: إنكم

(١) أنظر أسباب النزول ٤٨٦.

(٢) سورة الممتحنة ١.

(٣) الآية ١٤ و ١٥.

(٤) انظر مثلا أسباب النزول ٥٠٠.

لتبخلّون وتجنّبون وتجهّلون، وإنكم لمن ريحان الله^(١) وبعد أن ذكر ابن منظور الحديث قال^(٢): (يريد أن الولد لما صار سببا لجبن الأب عن الجهاد وإنفاق المال والافتتان به، كان كأنه نسبه إلى هذه الخلال ورماه بها. وكانت العرب تقول: **(الولد مجهله مجبنة مبخلة)** إن البنين يحملون الآباء على الجهل والسفه وذلك بنزول الوقور من الآباء إلى مستوى الأطفال في اللعب معهم والتصرف الذي يرضيهم ويسعدهم، ويحملون الآباء على الجبن عن القتال بسبب التفكير في الذرية بعد أن كانوا شجعانا، ويحملون الآباء على البخل بعد أن كانوا كرماء.

(ج) حقوق النساء :

ما أشد عناية الإسلام بالنساء وما أكثر الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بهن. وسبق أن تحدثنا عن العناية بالمرأة من زاوية كونها والدّة وبتتاً، ونود أن نتحدث عنها الآن من زاوية كونها زوجة. فإن هذه الزوجة هي والدّة البنت - وكذلك الولد - مستقبلاً، وهذا معناه أنّ الحديث عن الزوجة يقتضي الحديث عن الزوج بل وعن العديد من أفراد الأسرة المسلمة التي عني بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عناية بالغة.

وبشأن اختيار الزوجة ذات الدين إذا كانت سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم المبينة للقرآن الكريم قد أمرت بتفضيل ذات الدين

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٠ حديث رقم ١٩١٠.

(٢) لسان العرب: «جبن».

ووضعها في المرتبة الأولى فإن هذه المنزلة الرفيعة للمرأة ذات الدين يصح أن نفهمها ضمنا من هاتين الآيتين الكريميتين من سورة الأحزاب^(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ كُنْتُمْ تَرَدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيِّنْتُهَا فَمَنْعُكُمْ وَأَسْرَحُكُمْ سَرَّاحًا جَمِيلًا. وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ إن رب العزة يأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فتح الله تعالى له خزائن الأرض بعد غزوة الأحزاب وبني قريظة أن يقول لأزواجه رضوان الله تعالى عليهن أجمعين وقد سألنه المزيد من النفقة والأخذ بنصيب أوفر من الحياة الدنيا بأنهن إن كن يردن الحياة الدنيا وزينتها فإن لهن ذلك وسوف يعطينهن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يمتنعن به مما أشار إليه قوله تعالى في سورة البقرة^(٢): ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسَعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى^(٣): ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وسوف يسرحهن ويطلقهن سراحا وطلاقا جميلين وفق سنة الإسلام الجميلة في الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى. والدليل على أن التسريح بمعنى الطلاق قول الحق جل وعلا^(٤): ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمَّا سَكَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أما إن أراد زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى أعد للمحسنات منهن اجرا عظيما. والمعروف أن كل

(١) الآية ٢٨ و ٢٩.

(٢) الآية ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة ٢٤١.

(٤) سورة البقرة ٢٢٩.

زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم اخترن الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن وجعل الجنة مثواهن^(١) ولما كان أمهات المؤمنين الأسوة الحسنة للنساء المؤمنات فإن الزوجات الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله يجد منهن اللواتي قدر الله تعالى رزق أزواجهن العزاء في هاتين الآيتين الكريميتين كما يجدن الأسوة الحسنة في أمهات المؤمنين اللاتي أردن الله ورسوله والدار الآخرة التي هي خير من الأولى بنص القرآن الكريم .

وكي يقوم النساء بأدوارهن المنوطة بهن خير قيام من كونهن زوجات أو محرمات على التأبيد أو إلى حين وضع الشارع الحكيم الضوابط والأحكام التي ترضى كل عقل وتشبع كل نفس . ومن أمور الجاهلية التي قضى عليها الإسلام قضاء مبرما نكاح المقت ، بمعنى البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح^(٢) ونكاح المقت أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها^(٣) وفي نكاح المقت هذا نزل قول الحق جل وعلا^(٤) : ﴿ولا تنكحوا مانكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف . إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ وحينما نقارن بين آية النهي عن نكاح المقت وبين آية النهي عن الزنا في قول الحق جل وعلا^(٥) : ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ نتبين أن نكاح المقت كان حظه من النهي أكبر من حظ النهي عن الزنا بسبب زيادة القول : «ومقتا»^(٦) .

(١) درسنا الآيتين الكريميتين في : تأملات في سورة الأحزاب ٢٦٤ - ٢٧٧ .

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني : «مقت» ٤٧٠ .

(٣) تفسير القرطبي ١٦٧٤ .

(٤) سورة النساء ٢٢ .

(٥) سورة الإسراء ٣٢ .

(٦) درسنا الآية الكريمة في : تأملات في سورة النساء (مخطوط) .

وإن نص الآية الكريمة على إحدى المحرمات من النساء على التأييد توطئة للحديث بعد ذلك عن المحرمات من النساء. قال تعالى^(١): ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل إبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف. إن الله كان غفورا رحيمًا. والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾^(٢) عن ابن عباس قال: يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ الي قوله: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾^(٣).

ولا يستطيع الإنسان إلا أن يقف بخشوع أمام النظم المعجز الذي يرضى العقل بفصوص حكم المعاني ويشبع النفس بجميل تركيب المباني. ونستطيع أن نوجز الحديث عن ترتيب المحرمات بأن النظم قدم السبع المحرمات نسبا لأنهن أولى بالتقديم على السبع المحرمات صهرا. ووراء ذلك قدم السياق في الذكر الأولى بالتحريم فالأولى. ولا تخفى هذه الحقيقة على كل متأمل لترتيب المحرمات الأربع عشرة. والمحصنات من النساء هن ذوات الأزواج وتستثنى الآية الكريمة ما ملكت الأيمان. عن ابن عباس: كل امرأة لها زوج

(١) سورة النساء ٢٣ و ٢٤.

(٢) درسنا الآيتين الكريمتين في: تأملات في سورة النساء «مخطوط».

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٢٢٠ وتفسير ابن كثير ١/ ٤٦٩.

فهي عليك حرام إلا أمة ملكتها ولها زوج بأرض الحرب فهي لك حلال إذا استبرأتها^(١).

ومن البين الحكمة من تحريم الزواج بهذه الفئات . وهذه الحكمة تجلت في ترتيب المحرمات حيث إن السياق إذا كان قد بدأ بالأشد قربا وهن الأمهات فإنه أخذ يتحول باستمرار إلى التالية في القرب ، بمعنى أن السياق يتجه باستمرار نحو البعيدات من جهة النسب أولا ومن جهة الصهر آخرا . وبعد أن شمل السياق كل المحرمات وفق هذا النسق البديع جاء فيه القول^(٢) : ﴿وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ وإن النساء وراء المحرمات هن اللاتي يتحقق بواسطتهن الاستمتاع الذي أشار إليه بعد ذلك القول^(٣) : ﴿فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة﴾ والمراد بالأجور المهور^(٤) والحقيقة أن القول في هذه الآية الكريمة الرابعة والعشرين من سورة النساء : ﴿فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة . ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾ يفسره قول الحق جل وعلا في الآية الكريمة الرابعة من سورة النساء : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ إن رب العزة يأمر الأزواج بأن يعطوا زوجاتهم صدقاتهن ، بمعنى مهورهن ، وواحد الصدقات صدقة بضم الدال^(٥) نحلة وعن طيب نفس من

(١) تفسير الطبري ٢/٥ .

(٢) سورة النساء ٢٤ .

(٣) سورة النساء ٢٤ .

(٤) أنظر تفسير الطبري ٩/٥ والجلالين وتفسير القرطبي ١٥٩٣ .

(٥) تفسير القرطبي ١٥٩٣ . طبعة الشعب القاهرة .

الأزواج من غير تنازع^(١) وبعد ثبوت المهور للزوجات فإن طبن للأزواج عن شئ من المهور نفسا فتنزلن عن بعضها أو عنها كلها للأزواج فإن من حق الأزواج أن يأكلوا هنيئا مريئا ما طابت به لهم زوجاتهم منه نفسا، ولا جناح عليكم أيها الأزواج ولا حرج فيما تراضيتم أنتم وهن به من بعد فرض المهور لهن^(٢).

وقد أباح الإسلام للرجل أن يتزوج حتى أربع نسوة شريطة العدل بين الزوجات. قال تعالى^(٣): ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ وهذه الآية الكريمة كما يبدو من سبب النزول ذات علاقة بالآية الكريمة السابعة والعشرين بعد المائة من سورة النساء. قال تعالى: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن مآكبت لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط. وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾ جاء في سبب النزول في البخاري^(٤) ومسلم^(٥) واللفظ للبخاري (عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ فقالت يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تُشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير

(١) تفسير القرطبي ١٥٩٤.

(٢) انظر هنا مثلا تفسير الطبري ٩/٥ و ١٠.

(٣) سورة النساء ٣.

(٤) صحيح البخاري ٥٣/٦.

(٥) صحيح مسلم ١٥٤/١٨ - ١٥٦.

أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل مايعطيها غيره، فنهو عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى ستهن في الصداق، فأمرؤا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله **﴿ويستفتونك في النساء﴾** قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخرى: **﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾** رغبة إحدكم عن يتيمة حين تكون قليلة المال والجمال. قالت فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن إن كن قليلات المال والجمال».

من سبب النزول يتبين أن الآية الكريمة الأولى في اليتيمة التي يرغب وليها فيها لمالها وجمالها وان الآية الكريمة الأخرى في التيممة التي يرغب وليها عنها لقلة مالها ودمايتها. ومعنى الآية الكريمة الأولى: وإن خفتم أيها الأوصياء والأولياء في يتامى النساء اللاتي ترغبون في نكاحهن وخشيتن أن تظلموهن ولا تعطوهن مهر المثل فتجاوزوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء الأخريات وحلّ من الواحدة حتى الأربع. فإن خفتم ألا تعدلوا فانكحوا واحدة أو ماملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات: **﴿ذلك ادنى ألا تعولوا﴾** ذلك الاكتفاء بواحدة أدنى ألا تعولوا وأقرب ألا تجوروا ولا تميلوا^(١) عن الحق^(٢) ومعنى الآية الكريمة الأخرى: ويستفتونك

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٦٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٥٩٠. طبعة الشعب القاهرة.

أيها الرسول الكريم والنبى العظيم فى النساء . قل الله يفتىكم فىهن
وفىما يتلى عليكم فى الكتاب ، يعنى فى أول هذه السورة وذلك
قوله : ﴿وإن خفتن ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من
النساء﴾^(١) قل الله يفتىكم فىهن وفىما يتلى عليكم فى الكتاب فى
يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن مهورهن وحقوقهن التى فرضها الله
تعالى فى كتابه العزيز ، واللاتى لا يرغب الأولياء فى نكاحهن
والزواج بهن لدمامتهن ، وفى المستضعفين من الولدان^(٢) وفى أن
تقوموا لليتامى بالقسط ، أى بالعدل^(٣) بأن يؤتوهم حقوقهم من
الميراث لأنهم كانوا لا يورثون الصغار من أولاد الميت^(٤) وما تفعلوا
أياها الناس وأياها الأولياء والأوصياء من خير فإن الله تعالى كان به
عليما وسوف يجازيكم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

ويقرر القرآن الكريم أن الأزواج لن يستطيعوا أن يكونوا عادلين
بشأن الزوجات ولو حرصوا وبخاصة فيما يتعلق بالميل القلبي
فعلیهم ألا یميلوا كل الميل إلى الزوجة التى یميل إليها القلب فیذروا
الزوجة الأخرى كالمعلقة وكالمراة التى لا هى ذات زوج ولا هى
أیم^(٥) قال تعالى^(٦) : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بین النساء ولو
حرصتم فلا تمیلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة . وإن تصلحوا وتتقوا
فإن الله كان عفورا رحیما﴾ عن عائشة قالت : كان رسول الله

(١) تفسير الطبري ١٩٣/٥ .

(٢) المرجع السابق ١٩٥/٥ .

(٣) المرجع السابق ١٩٥/٥ و ١٩٦ .

(٤) المرجع السابق ١٩٥/٥ .

(٥) المرجع السابق ٢٠١/٥ وأنظر تفسير ابن كثير ٥٦٤/١ .

(٦) سورة النساء ١٢٩ .

صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك، يعني القلب^(١) وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل^(٢).

وما العمل حينما تخاف المرأة من زوجها نشوزا واستعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها^(٣) أو إعراضاً عنها؟ الجواب في قول الحق جل وعلا^(٤): ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير. وأحضرت الأنفس الشح. وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ جاء في سبب النزول في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة^(٥) (وفرت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهبت يومها لعائشة. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لها بيوم سودة^(٦) قالت عائشة: ففي ذلك أنزل الله: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾^(٧) وقد ماتت سودة رضي الله تعالى عنها وهي من أزواجه صلى الله عليه وسلم^(٨) ومعنى الآية

(١) تفسير ابن كثير ٥٦٤/١ وتفسير الطبري ٢٠٣/٥ وسنن أبي داود ٢٤٢/٢ حديث رقم ٢١٣٤.

(٢) سنن أبي داود ٢٤٢/٢ حديث رقم ٢١٣٣ وتفسير ابن كثير ٥٦٤/١ وتفسير الطبري ٢٠٣/٥.

(٣) تفسير الطبري ١٩٦/٥.

(٤) سورة النساء ٢٨.

(٥) زمعة بسكون الميم وفتحها كما في القاموس وما بين معقوفين زيادة من سنن أبي داود ٢٤٣/٢ حديث رقم ٢١٣٥. (وفرت) أي خافت.

(٦) تفسير ابن كثير ٥٦٢/١ وأنظر فتح الباري ٣١٢/٩ حديث رقم ٥٢١٢.

(٧) تفسير ابن كثير ٥٦٢/١ وأنظر صحيح البخاري ٦٢/٦ وأسباب النزول ٢١٥.

(٨) تفسير القرطبي ١٩٧٤.

الكريمة : وإن امرأة خافت من زوجها تعاليا عليها أو إعراضا عنها فلا جناح عليهما ولا إثم أن يصلحا بينهما صلحا بأن تتنازل الزوجة عن كل حقها أو بعضه وبأن يقيها الزوج في عصمته «والصلح خير» دائما وأبدا وبخاصة بين الزوجين . ومعنى الشح البخل مع الحرص^(١) وأحضر يتعدى إلى مفعولين اثنين كقولهم : أحضرت زيدا الطعام ، والمفعول الأول الأنفس^(٢) وهو نائب فاعل مرفوع . والشح مفعول به منصوب^(٣) يقول ابو حيان^(٤) : (هذا من باب المبالغة . جعل الشح كأنه شئ معد في مكان وأحضرت الأنفس وسيقت إليه ، ولم يأت وأحضر الشح الأنفس فيكون مسوقا إلى الأنفس ، بل الأنفس سبقت إليه لكون الشح مجبولا عليه الإنسان ومركوزا في طبيعته) وتحت الآية الكريمة على الإحسان بمعنى صحة العمل وصوابه ، وعلى التقوى بمعنى إخلاص العمل لله تعالى . إن الله سبحانه وتعالى خبير بما نعمل جميعا .

وأحيانا يكون النشوز من المرأة ، وأحيانا يكون من المرأة والرجل معا . وفي هذه المعاني جاء قول الحق جل وعلا^(٥) ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع

(١) مفردات الراغب الأصفهاني : «شح» ٢٥٦ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/ ٣٩٦ .

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣/ ١٦٠ .

(٤) البحر المحيط ٣/ ٣٦٣ .

(٥) سورة النساء ٣٤ ، ٣٥ .

واضربوهن . فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . إن الله كان عليا كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما . إن الله كان عليما خبيرا .

الآية الكريمة الأولى تتحدث عن القوامة فتقرر أن الرجال قوامون على النساء وأن للأزواج القوامة على الزوجات . بمعنى أن الرجل قيم على المرأة ، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت^(١) وبمعنى أن الكلمة للرجل حينما تختلف وجهتا نظر الزوج وزوجه بشأن توجيه دفعة الأسرة المسلمة . وتعين الآية الكريمة السببين في كون القوامة للرجال . أما السبب الأول ففي قوله تعالى : **﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾** بمعنى أن الرجل هو الذي هيأه الله سبحانه وتعالى من النواحي الجسمانية والعقلية والعاطفية كي يتصدى للجانب الخشن من الحياة العملية منها وذلك في مقابل ماهياً الله سبحانه وتعالى له المرأة كي تتصدى للجانب الناعم من الحياة زوجا حنونا وأما رءوما وملكة في مملكتها الصغيرة أعني المنزل فقد خصها الله تعالى بمجموعة من الخصائص ليست للرجل ، منها رقة العاطفة وفيض الشعور وفرط الحنان . هذا إلى ما لا يستطيع أن يقوم به سواها من حمل وإنجاب وإرضاع ورعاية شؤون المنزل ومصلحة الزوج وتربية الصغار ، وما إلى ذلك من أمور مرتبطة بالمرأة . إن كل هذه الأمور من متعلقات الجانب الناعم من الحياة الذي يحتاج إلى كمية هائلة من العاطفة أو القوة الدافعة . وإن المرأة هي المهيأة للقيام بهذه المهمة وذلك في مقابل

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٩١ .

قيام الرجل بالأمور الأخرى التي تحتاج إلى قوة بدنية، و طاقة جسمانية، واستعداد للتعامل مع الجانب الخشن من الحياة، وقوة كابحة يحدث بسببها التوازن مع القوة الدافعة للمرأة. إن القوة الدافعة إنما كانت من نصيب النساء بسبب قوة عاطفة المرأة وفرط حنانها، وإن القوة الكابحة إنما كانت من نصيب الرجال بسبب قدرة الرجل على ضبط عواطفه وكبح جماح انفعالاته بأكثر من المرأة. وحينما نتأمل مجموع نصيب كل من الرجل والمرأة من القوتين معا الدافعة والكابحة نتبين أن الجنسين متساويان. ففي مقابل حظ المرأة الموفور من اندفاع العاطفة حظ الرجل الموفور من القدرة على ضبط العاطفة. ولا يمكن لأي مركبة أن تسير بالقوة الدافعة وحدها، ولا بالقوة الكابحة وحدها، بل لابد من تعاون القوتين وعملهما معا. ولما كان الحديث هنا عن القوامة أي عن القوة الكابحة وكان حظ الرجل موفورا منها كانت القوامة من حقه بأمر الله تعالى الذي خلق الإنسان ويعلم ماتوسوس به نفسه وجعل الرجل مهيبا للقيام بهذه المهمة بسبب تفضيل الله تعالى جنس الرجل على جنس المرأة في قوة الاحتمال والقدرة على العمل والكدح والكبح للعواطف، وذلك في مقابل تفضيل الله تعالى جنس المرأة على جنس الرجل في تدفق المشاعر وفرط العواطف. أما السبب الثاني في كون القوامة للرجل فقد جاء في قول الحق جل وعلا: ﴿وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ إن الزوج هو الذي يدفع المهر لزوجته وهو المسؤول عن النفقة على الأسرة فقد هيأه الله سبحانه وتعالى جسمانيا وعقلياً ونفسياً كي يكدح وراء لقمة العيش وينفق

على أسرته . وبشأن كدح الرجل في سبيل إيجاد مهر الزوجة يكفي أن نعرف أن موسى عليه السلام قد دفع مهرا لزوجته العمل عشر سنوات لدى والد زوجته شعيب عليه السلام قال تعالى (١) :
﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين. قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك. ستجديني إن شاء الله من الصالحين. قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على مانقول وكيل﴾ إن الزوجة الغالية تستحق أن يدفع الزوج عشر سنوات من عمره وزهرة شبابه مهرا لها . ومن الذي يدفع هذا المهر؟ إنه الزوج المثالي : «القوي الأمين» ومن الطبيعي أن توظف هذه القوة في القوامه . قال تعالى : **﴿الرجال قوامون على النساء﴾** .

وأي نساء تتحدث هذه الآية الكريمة من سورة النساء عنهن وتقول لهن إن الله تعالى جعل القوامه لأزواجهن عليهن بسبب تهيئة الله تعالى الرجل للقيام بهذه المهمة . مهمة قيادة الأسرة في خوضها غمار الحياة واتجاهها إلى الله تعالى؟ إنهن اللاتي يؤمن بالله تعالى ربا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، وبالقرآن الكريم دستورا ، وقد قال عز من قائل (٢) : **﴿وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا﴾** وهذه هي صفات

(١) سورة القصص ٢٦-٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٦ .

المؤمنات في الآية الكريمة: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ إن هؤلاء النساء صالحات يعرفن حق الله تعالى عليهن. وإن هؤلاء النساء قانتات مطيعات^(١) عن قتادة: قانتات أي مطيعات لله ولأزواجهن^(٢) وليست طاعة الزوجات لأزواجهن إلا بأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(٣) من عظم حقه عليها^(٤) وإن هؤلاء النساء حافظات لغيب أزواجهن في أنفسهن وأموالهم وأولادهم وأقوالهم^(٥) بحفظ الله إياهن إذ صيرهن كذلك^(٦) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير النساء امرأة: إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك. قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾. الآية^(٧) وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة^(٨) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا. وخياركم خياركم لنسائهم خلقا^(٩).

(١) تفسير الطبري ٣٨/٥.

(٢) المصدر السابق ٣٨/٥.

(٣) سنن الترمذي ٤٦٥/٣ حديث رقم ١١٥٩.

(٤) زيادة في تفسير ابن كثير ٤٩٢/١.

(٥) المصدر السابق ٤٩١/١.

(٦) تفسير الطبري ٣٩/٥.

(٧) المصدر السابق ٣٩/٥.

(٨) سنن الترمذي ٤٦٦/٣ حديث رقم ١١٦٢.

(٩) سنن الترمذي ٤٦٦/٣ حديث رقم ١١٦٢.

وما العمل حينما تلوح في الأفق بوادر نشوز الزوجة؟ عن ابن عباس: المرأة تنشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره. الجواب في قول الحق جل وعلا: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نَشُوزَهُنَّ فَعْظُوهُنَّ أِهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ وأول ما يلاحظ هو أن الآية الكريمة لا يجئ فيها القول: واللاتي نشزن، إنما الذي يجئ: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نَشُوزَهُنَّ﴾ والذي يلفت النظر مجئ جملة: «تخافون» دليلا على المودة والرحمة اللتين جعلهما الله تعالى بين الزوجين إلى الحد الذي يخاف الزوج معه ويصيبه الفرع لمجرد الظهور لطائع النشوز من الزوجة. إن النشوز حينما يكون من الزوجة وتكون قوتها الدافعة عنيفة يكون في المقابل اللجوء إلى القوة الكابحة أو القوامة التي ينبغي على كل زوج يؤمن بالله تعالى وباليوم الآخر أن يلتزم بحكم الله تعالى فيها وتنفيذ ما جاء في الآية الكريمة بدقة متناهية من خطوات تبدأ بالأقرب تناولا وبالوسيلة الأسهل فإذا تأكد للزوج عدم جدوى الخطوة الأولى الأسهل تحول إلى التي تليها وهكذا حتي يتم استنفاد سائر الخطوات. وإذا كان للحكمة دورها في تنفيذ هذه الخطوات وللعقل، فإن للإيمان دوره كذلك وللعاطفة الإيمانية. ويتجلى كل ذلك بوضوح من ضرب الآية الكريمة بقوة على وتر القوة الإيمانية فليتنق الأزواج الله تعالى وليقولوا قولاً سديداً: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ومن أقوى الأدلة على أن القوة الإيمانية مطلوبة هنا بقدر طلب القوة الكابحة أن الآية الكريمة لا تكتفى بالوقوف

الممكن عند لفظة «سيلا» من القول ﴿فلا تبغوا عليهن سيلا﴾ إنما تضيف هذا القول ﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾ الذي يفيد أن الله تعالى هو العلى وحده وهو الكبير الأكبر من كل كبير فعلى كل مسلم أن يعرف ذلك جيدا وبخاصة الأزواج الذين جعل الله تعالى لهم القوامة فعليهم أن يراقبوا الله تعالى جيدا ويتقوه تعالى ما استطاعوا في تنفيذ أحكام الله تعالى بشأن القوامة. إن على الزوج الذي يؤمن بالله تعالى وبالיום الآخر ألا يتجاوز إلى الخطوة التالية حتي يستنفذ الخطوة السابقة كما أمر الله تعالى.

إن ثمة ثلاث خطوات أشار إليها قول الحق جل وعلا: ﴿فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾.

ومعنى: «فعظوهن» عن ابن عباس يعني عظوهن بكتاب الله. قال: أمره الله إذا نشزت أن يعظها ويذكرها الله ويعظم حقه عليها^(١).

ومعنى: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ عن ابن عباس: واهجروهن في المضاجع يعني بالهجران أن يكون الرجل وامرأته على فراش واحد لا يجامعها^(٢) وعن ابن عباس أنها لا تترك في الكلام ولكن الهجران في أمر المضجع^(٣) وعن السدي: يرقد عندها ويوليها ظهره ويطؤها ولا يكلمها^(٤) والمراد بالمضجع هنا مكان نوم الزوج مع زوجته والمرقد^(٥) «إن أقل حالات هجر الزوجة

(١) تفسير الطبري ٤٠/٥.

(٢) تفسير الطبري ٤١/٥ وتفسير ابن عطية ٤٥/٤.

(٣) تفسير الطبري ٤١/٥.

(٤) تفسير الطبري ٤١/٥.

(٥) انظر مثلاً الكشف ٣٩٥/١ والبحر المحيط ٢٤١/٣ وتفسير القرطبي ١٧٤١.

في المضجع هو عدم الإقبال عليها بوجه الرضا في حال النوم معها في فراش واحد والاتصال بها جنسيا .

يلي ذلك عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا في حال النوم معها في فراش واحد وعدم الاتصال بها .

يلي ذلك عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا في حال هجرها في المضجع ولكن مع الاتصال بها .

يلي ذلك عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا في حال هجرها في المضجع وعدم الاتصال بها»^(١) .

ويصح أن نتبين أن عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا هو القاسم المشترك بين حالات الهجر في المضجع .

ومعنى : «واضربوهن» عن ابن عباس : ضربا غير مبرح^(٢) بمعنى غير مؤثر ولا شائن^(٣) ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع : واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان ، ولكم عليهن ألا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح^(٤) قال بالسواك ونحوه^(٥) ويلحق بالسواك فرشاة الأسنان وما في حكمها .

(١) تأملات في سورة النساء ١٦٠ (مخطوط) .

(٢) تفسير الطبري ٤٤/٥ .

(٣) المرجع السابق ٤٤/٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٩٢/١ وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٥١/٤ حلي تصوير بيروت .

وسنن الترمذي ٤٦٧/٣ حديث رقم ١١٦٣ .

(٥) تفسير الطبري ٤٤/٥ وهذا تفسير ابن عباس للقول : «غير مبرح» في خطبته عليه الصلاة

والسلام في حجة الوداع .

والآية الكريمة التالية تتحدث عن الشقاق حينما يشترك فيه الزوجان. قال تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما. إن الله كان عليما خبيراً﴾.

وكما جاء في الآية الكريمة السابقة الإشارة إلى الخوف بين يدي النشوز في القول: ﴿واللاتي يخافون نشوزهن﴾ جاءت الإشارة إلى الخوف بين يدي الشقاق في بداية الآية الكريمة: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ وإذا كان الخوف بشأن النشوز دليلاً على اهتمام الأزواج بالزوجات فإن الخوف هنا بشأن الشقاق بمعنى المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك^(١) دليل على اهتمام أولياء الأمور من حكام وقضاة ومن إليهم^(٢) بالزوجين. وذلك من مظاهر التعاطف والتراحم بين المؤمنين. إن الآية الكريمة تخاطب أولى الأمر وتقول لهم: إنكم إن خفتم شقاق بين الزوجين والمخالفة بينهما إلى الحد الذي يأخذ كل منهما غير شق الآخر في الاتجاه إلى الطلاق فابعثوا حكما حكيما معروفا بالصلاح وبسداد الرأي والحرص على فعل الخيرات من أهل الزوج وحكما آخر من أهل الزوجة يرتضيه كل من الزوجين. وإن لم يوجد الحكم من الأهل يصح أن يكون من غير الأهل. ويجتهد هذان الحكمان في الإصلاح وتقريب وجهات النظر والأخذ على يد الناشز الظالم منهما. فإن تأكد الحكمان استحالة الاستمرار للحياة الزوجية ففرق بينهما: «والفراق في ذلك طلاق بائن»^(٣).

(١) مفردات الراغب الاصفهاني: «شق» ٢٦٤.

(٢) انظر مثلاً تفسير الطبري ٤٧/٥ وتفسير ابن كثير ١/٤٩٢ و٤٩٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٧٤٦. طبعة الشعب القاهرة.

وإن القول: ﴿إِنْ يريدا إِصلاحا يوفى الله بينهما﴾ يعني الحكمين، في قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما. أي إن يريد الحكمان إصلاحا يوفى الله بين الزوجين. وقيل: المراد الزوجان، أي إن يريد الزوجان إصلاحا وصدقا فيما أخبرا به الحكمين ﴿يوفى الله بينهما﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنْ الله كان عليما خبيرا﴾ يتمشى فيه القول: «عليما» مع العلم الظاهر، ويتمشى القول: «خبيرا» مع العلم الباطن. إن الله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير.

وبشأن الطلاق، أبغض الحلال إلى الله تعالى الذي قد يقرره الحكمان والذي قد يقرره الزوج جاء قول الحق جل وعلا^(٢): ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما﴾.

وبشأن ما للنساء وما عليهن وبشأن درجة القوامة للرجال جاء قول الحق جل وعلا^(٣): ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة. والله عزيز حكيم﴾.

ومما جعله الله تعالى حقا للنساء المهور التي سبق للأزواج أن أعطوها زوجاتهم مهما تكن المهور كبيرة ولو كانت قنطارا من الذهب. وفي هذا المعنى جاء قول الحق جل وعلا^(٤): ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا. أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ وإثما ذهبنا إلى أن المراد بالقنطار الكمية الكبيرة من الذهب بسبب جمع الآية الكريمة

(٢) سورة النساء ١٣٠.

(٤) سورة النساء ٢٠ و ٢١.

(١) تفسير القرطبي ١٧٤٥.

(٣) سورة البقرة ٢٢٨.

الخامسة والسبعين من سورة آل عمران بين القنطار والدينار وهو من الذهب وذلك في قول الحق جل وعلا: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما. ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ والآية الكريمة: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ كأنها تحت على الزواج وكأن المهم بعد حصول الفراق بين الزوجين أن تحل الزوجة الأخرى محل الأولى.

والآية الكريمة الأخرى تنكر في أسلوب الاستفهام على الأزواج أن يأخذوا المهور التي سبق لهم أن أعطوها زوجاتهم امثالاً لأمر الله تعالى وقد أفضى بعضهم إلى بعض بعد الزواج ووصل كل من الزوجين إلى أعماق أعماق الطرف الآخر. ثم إن الزوجات قد أخذن من الأزواج ميثاقاً غليظاً. والميثاق الغليظ قوله تعالى: ﴿فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾^(١) وإن قوله تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ يفيد معنى قول الحق جل وعلا خطاباً للزوجين بعد الطلاق^(٢): ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾.

وما أكثر مظاهر الفضل بين الزوجين ومنها أن يرعى الزوج زوجته من الوجهة الصحية بامتنال أمر الله تعالى فلا يأتيها في أثناء حيضها، إنما يأتيها بعد طهرها من حيث أمره الله تعالى في القبل

(١) أنظر تفسير القرطبي ١٦٧٢.

(٢) سورة البقرة ٢٣٧.

كيف شاء، ومنها أن يقدماً لنفسيهما ذكر الله تعالى عند الجماع والدعاء بأن يجنبهما الله تعالى الشيطان وأن يجنب الشيطان مايرزقهما من الولد^(١) لقد جاء في هذه المعاني السامية النبيلة وغيرها قول الحق جل وعلا^(٢): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ . نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وإن من أكبر الأدلة وألطفها على حرص الإسلام على رأب الصدع بين الزوجين ولمَّ شتات الأسرة حتي بعد وقوع أبغض الحلال إلى الله تعالى أعني الطلاق وعلى صون الإسلام كرامة المرأة أن الشارع الحكيم لا يسمح بإخراج المطلقات من بيوتهن ولا يخرجن منها حتي تنقضي عدتهن . وفيما يتعلق بالمطلقة بواحدة أو اثنتين ينبه الشارع الحكيم إلى الحكمة من عدم خروج المطلقات من بيوتهن بأن بقاء المطلقة في المنزل بأمر الله تعالى ربما أهاج عواطف الطرفين، وذكرهما بالفضل الذي كان بينهما، وربما أحدث الله تعالى أمراً بسبب بقاء المطلقة في المنزل بأن يراجعها الزوج إذا كان الطلاق بواحدة أو اثنتين . وإليك في هذه المعاني السامية النبيلة وفي الحث على تقوى الله تعالى خاصة حينما يقع أبغض الحلال إلى الله تعالى هذه الآيات الثلاث الأولى من سورة الطلاق . قال تعالى :

(١) أنظر مثلاً تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٥ وتفسير القرطبي ٩٠٤ وفتح الباري ٩/ ٢٢٨ حديث رقم ٥١٦٥ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ و٢٢٣ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ . لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ . وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ . وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ . لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا . فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلِ مَنْكُم وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ . ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ . قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ .

(د) حقوق اليتامي :

ومن الفئات التي عني بها الإسلام عناية بالغة اليتامي . فما أكثر الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي عنت باليتامي وأوصت بهم خيرا . واليتم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه وفي سائر الحيوانات من قبل أمه^(١) واليتامي قد يكونون داخل الأسرة وقد يكونون خارجها . عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا . وقال بأصبعه السبابة والوسطى^(٢) وفي رواية : وأشار بأصبعه^(٣) والسبابة هي الإصبع السبابة التي تلي الإبهام . سميت السبابة لأنها يسبح بها في الصلاة فيشار بها في التشهد لذلك ، وهي السبابة أيضا لأنها يسب

(١) مفردات الراغب الاصفهاني : « يتم » ٥٥٠ وانظر تفسير ابن عطية ٣ / ٤٨٥ .

(٢) فتح الباري ٤٣٦ / ١٠ حديث رقم ٦٠٠٥ .

(٣) المرجع السابق ٤٣٦ / ١٠ .

بها الشيطان حينئذ^(١) وفي الحديث إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى . وهو نظير الحديث الآخر : بعثت أنا والساعة كهاتين . الحديث^(٢) ويكفي في إثبات قرب المنزل من المنزل أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى^(٣) ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزل حالة دخول الجنة ، لما أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة رفعه : أنا أول من يفتح باب الجنة ، فإذا امرأة تبادرني فأقول : من أنت ؟ فتقول : أنا امرأة تأميت على أيتام لي . ورواته لا بأس بهم . وقوله : تبادرني ، أي لتدخل معي أو تدخل في أثري . ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين ، سرعة الدخول . وعلو المنزل^(٤) وقد أخرج أبو داود من حديث عوف بن مالك رفعه^(٥) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا وامرأة سفعاء^(٦) الخدين كهاتين يوم القيامة . وأوماً يزيد بالوسطى والسبابة . امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا^(٧) .

وهذه بعض الآيات الكريمة في إكرام اليتيم ورعاية مشاعره والعناية بمصالحه . قال تعالى في معرض المن على حبيبه صلى الله

(١) أنظر فتح الباري ٤٣٦/١٠ .

(٢) المصدر السابق ٤٣٦/١٠ .

(٣) المصدر السابق ٤٣٦/١٠ .

(٤) المصدر السابق ٤٣٦/١٠ .

(٥) المصدر السابق ٤٣٦/١٠ .

(٦) السفعة والسفع : السواد . وسفعاء الخدين سوداؤهما بسبب المشقة والسهر على اليتامي . وبه سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخاني وجه من اشتد به الغضب . أنظر مثلا مفردات الراغب الأصفهاني : «سفع» ٢٣٤ .

(٧) سنن أبي داود ٣٣٨/٤ حديث رقم ٥١٤٩ وتختلف رواية فتح الباري عن هذه الرواية قليلا .

عليه وسلم^(١): ﴿ألم يجعلك يتيماً فأوي﴾ وقال تعالى^(٢): ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ وقال تعالى^(٣): ﴿كلا بلا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ وقال تعالى^(٤): ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين. فذلك الذي يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين﴾ والدع الدفع الشديد^(٥) وقال تعالى^(٦): ﴿وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيماً ذا مقربة. أو مسكيناً ذا متربة﴾ وقال تعالى^(٧): ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾.

وفي هذه الآية الكريمة من سورة النساء^(٨) أمرت بالإحسان إلى الوالدين وبذي القربى واليتامى وآخرين. قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم. إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ ويصح أن نقول إن ترتيب حبات عقد المعاني في الآية الكريمة قد راعى الأهمية من ناحية وكثرة الحدوث من ناحية أخرى. إن الآية الكريمة تبدأ بالأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأمرت وراء ذلك بالإحسان إلى الوالدين، وبذي

(١) سورة الضحى ٦.

(٢) سورة الضحى ٩.

(٣) سورة الفجر ١٧ و ١٨.

(٤) سورة الماعون ١ - ٣.

(٥) مفردات الراغب الأصفهاني: «دع» ١٦٩.

(٦) سورة البلد ١٢ - ١٦.

(٧) سورة الإنسان ٨.

(٨) الآية ٣٦.

القربى وباليتمى، وهؤلاء اليتامى قد يكونون من ذوي القربى وبذلك يكون لهم حقان بسبب القرابة وبسبب اليتيم. ويأتي بعد اليتامى الذين يجمعون عادة بين الحاجة وعدم القدرة على العمل المساكين، جمع مسكين، وهو الذي قد ركب ذل الفاقة والحاجة فتمسكن لذلك^(١) وقد يجمع المسكين بين الحاجة وبين عدم القدرة على العمل، وقد لا يجد فرصة العمل القادر عليه، ومن هنا يتقدم اليتيم المسكين في الحاجة وفي الترتيب في الآية الكريمة. ثم يأتي الأمر بالإحسان إلى الجار ذي القربى. عن ابن عباس: يعني الذي بينك وبينه قرابة^(٢) وبالإحسان إلى الجار الجنب: عن ابن عباس: يعني الذي ليس بينك وبينه قرابة^(٣) أخرج الطبراني من حديث جابر رفعه: الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم، له حق الجوار والإسلام والرحم^(٤) عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابا^(٥) وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مازال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت أنه سيورثه^(٦) ثم يأتي الأمر بالإحسان إلى الصاحب بالجنب. عن ابن عباس: الرفيق^(٧) وعن سعيد بن جبيرة وآخرين:

(١) تفسير الطبري ٥٠/٥.

(٢) المرجع السابق ٥٠/٥.

(٣) المرجع السابق ٥٠/٥.

(٤) فتح الباري ٤٤٢/١٠.

(٥) المرجع السابق ٤٤٧/١٠ حديث رقم ٦٠٢٠.

(٦) المرجع السابق ٤٤١/١٠ حديث رقم ٦٠١٤.

(٧) تفسير الطبري ٥٢/٥.

الرفيق في السفر^(١) وقيل : امرأة الرجل التي تكون معه إلى جنبه^(٢) ويقول الطبري^(٣) : (وقد يدخل في هذا الرفيق في السفر والمرأة والمنقطع إلى الرجل الذي يلزمه رجاء نفعه لأن كلهم بجنب الذي هو معه وقريب منه . وقد أوصى الله تعالى بجمعهم لوجوب حق صاحب على المصحوب) ثم يأتي الأمر بالاحسان إلى ابن السبيل وهو المسافر المنقطع والذي يمر عليك وهو مسافر^(٤) وما أقل أبناء السبيل بالقياس إلى الفئات السابقة . أما آخر الفئات التي أوصت الآية الكريمة بالإحسان أليها فإنهم الذين ملكت إيماننا . وهؤلاء غير موجودين الآن . ويصح أن يوجدوا مستقبلا وذلك إذا استرق أعداؤنا أسرا فإن من حقنا أن نسترق أسراهم .

وقد يكون لليتيم مال ولكنه بسبب صغره لا يحسن التصرف في ماله ومن ثم يكون له ولي أو وصي . وما أكثر عناية القرآن الكريم بأموال اليتامى والتحذير من التفريط فيها أو أكلها ظلما وعدوانا ، والحث على رعايتها وتنميتها وتسليمها لليتامي إذا آنس الأوصياء والأولياء منهم رشدا وعقلا ، والحث على رعاية مصلحة اليتامى من جميع النواحي . ومن الآيات الكريمة ما نهى عن مجرد الاقتراب من مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسن قال عز من قائل^(٥) : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ

(١) أنظر تفسير الطبري ٥٢/٥ وتفسير ابن كثير ١/٤٩٥ .

(٢) أنظر تفسير الطبري ٥٢/٥ .

(٣) المرجع السابق ٥٣/٥ .

(٤) المرجع السابق ٥٣/٥ .

(٥) سورة الإسراء ٣٤ .

أشدّه وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴿ وقال تعالى (١) : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ .

على أن أكثر سور القرآن الكريم حديثاً عن اليتامى سورة النساء المدنية . وتكثر العناية باليتامى في أثناء الآيات العشر الأول من السورة الكريمة . فلندون تلك الآيات العشر ولنتحدث عن الآيات الكريكات التي تعنى باليتامى مما لم نتحدث عنه من ذي قبل . قال تعالى (٢) :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) وَءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدِّلُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤) وَلَا تَوْرَثُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ

(١) سورة الانعام ١٥٢ .

(٢) سورة النساء ١-١٠ .

وَلَا تَأْكُلُوهُمَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ
كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا
عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ
أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ
لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠).

ومن البين أن الآيات الكريمة التي تتحدث عن اليتامى هي
الآيات ٢ . ٣ . ٥ . ٦ . ٨ . ٩ . ١٠ ومن البين كذلك أنه سبق لنا أن
تحدثنا عن الآية الكريمة الثالثة في أثناء الحديث عما يجب لليتيمة من
حقوق المثل إذا أراد وليها أن يتزوجها وأعجبه جمالها . ونعتقد أنه
ليس ثمة ما يمنع أن نتحدث عن جميع الآيات العشر بسبب الترابط
المتين بينها على أن يكون ثمة توضيح أكبر لما له من الآيات الكريمة
علاقة مباشرة باليتامى .

إن الآية الكريمة الاولى تأمر الناس جميعاً في هذه السورة
الكريمة المدنية بأن يتقوا ربهم جل وعلا الذي خلقهم من نفس
واحدة والمراد آدم عليه السلام وخلق منها زوجها والمراد حواء عليها
السلام التي خلقها الله تعالى من أحد أضلاعه عليه السلام ونشر
جل وعلا منهما بالتزاوج رجالا كثيرا ونساء . كما تأمر الآية الكريمة
بتقوى الله تعالى الذي نتساءل به والذي إذا سأل بعضنا بعضا سأل

به كأن نقول: نسألك بالله. وبأن نتقي الأرحام أن نقطعها^(١) إن الله تعالى كان علينا رقيباً وحفيظاً^(٢).

وإن الآية الكريمة الثانية تأمرنا بأن نعطي اليتامى أموالهم وألا نتبدل الخبيث الحرام القليل من أموالنا بالطيب الحلال الكثير من أموال اليتامى، كما تأمرنا بألا نأكل أموالهم وألا نضمها إلى أموالنا وبذلك ضمن حرف الجر «إلى» جملة لا تأكلوا معنى جملة لا تضموا^(٣) إن ذلك الأكل لأموال اليتامى ظلماً كان إثماً عظيماً^(٤).

وإن الآية الكريمة الثالثة التي درسناها في غير هذا الموضع بالتفصيل تخبرنا بإننا إن خفنا أن نظلم اليتامى اللاتي نرغب في الزواج بهن وخشيناً ألا نعطينهن مهور المثل في إمكاننا أن نتجاوزهن فننكح حتى الأربع شريطة العدل وإلا فإنه ينبغي علينا الاكتفاء بزوجة واحدة أو ماملكت إيماننا. ذلك أدنى ألا نجور ولا نغيل^(٥) عن الحق^(٦).

وإن الآية الكريمة الرابعة التي درسناها في غير هذا الموضع كذلك تأمر الأزواج بأن يعطوا الزوجات صدقاتهن ومهورهن^(٧) نحلة وعن طيب نفس^(٨) فإن طاب الزوجات عن شيء من المهر نفسا

(١) تفسير الطبري ١٥٢/٤.

(٢) المرجع السابق ١٥٢/٤.

(٣) أنظر هنا مثلاً تفسير القرطبي ١٥٨٠ والبحر المحيط ١٦٠/٣.

(٤) تفسير القرطبي ١٥٤/٤.

(٥) المرجع السابق ١٦٠/٤.

(٦) المرجع السابق ١٥٩٠.

(٧) المرجع السابق ١٥٩٣.

(٨) المرجع السابق ١٥٩٤.

فليأكل الأزواج ذلك هنيئاً لا مشقة في الحصول عليه^(١) مريئاً لا داء فيه^(٢).

وإن الآية الكريمة الخامسة تنهى الأوصياء والأولياء عن أن يعطوا السفهاء غير كاملي العقول وغير المحسنين التصرف في أموالهم وإداراتها، عن أن يعطوهم أموالهم التي جعلها الله تعالى للأولياء وللأوصياء وللأمة جمعاء قياما تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها^(٣) إن الآية الكريمة يجيء فيها القول: «**أموالكم**» وليس: أموالهم، والقول: «**لكم**» وليس: لهم. وذلك دليل على أن المال مال الأمة ويجب أن يبقى في أيدي المصلحين وليس في أيدي المفسدين السفهاء وإن كان في الحقيقة مالا للسفهاء ولكنهم لا يتسلمونه حتى يثبت رشدهم. وهذا المال مادام في أيدي الأولياء والأوصياء فإن الواجب عليهم أن يحافظوا عليه وأن ينموه كما لو كان مالهم ولذلك جاء القول في الآية: «**أموالكم**» و: «**لكم**».

ومادام المال في أيدي الأولياء والأوصياء فإن عليهم أن يرزقوا السفهاء منه ويكسوهم وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً بأن المال مالهم وسوف يتسلمونه مستقبلاً وفي الوقت المناسب. وفي الآية الكريمة يجيء الجار والمجرور «فيها» من القول: «**وارزقوهم فيها**» ولا يجيء القول: وارزقوهم منها، دليلاً على وجوب تنمية أموال اليتامى بحيث إن رزقهم وكسوتهم لا يكونان من رأس المال وإنما من الربح

(١) تفسير القرطبي ١٥٩٧.

(٢) المرجع السابق ١٥٩٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٤٥٢/١.

الذي أوما إليه الجارّ والمجرور : « فيها » .

وإن الآية الكريمة السادسة تأمر الأولياء والأوصياء بأن يختبروا اليتامى ويمتحنوا قواهم العقلية ويعرفوا مدى قدراتهم على التصرف في أموالهم . حتى إذا بلغوا النكاح وناهزوا الحلم واستكمل الواحد منهم خمس عشر سنة^(١) فإن آنس الأولياء والأوصياء منهم رشداً، ووجدوا منهم وعرفوا^(٢) عقلاً وصلاًحاً في الدين^(٣) وإصلاحاً للمال وحفظاً^(٤) فعلى الأولياء والأوصياء أن يدفعوا إلى اليتامى أموالهم ، وعليهم ألا يأكلوا أموال اليتامى إسرافاً بغير ما أباحه الله تعالى لهم^(٥) ومبادرة^(٦) منهم إلى انتهابها قبل أن يكبر اليتامى ويبلغوا الرشد ويطلبوا أموالهم . إن تبذير أموال اليتامى حرام . وإن أكل أموالهم بالباطل قبل أن يفتن اليتامى لأموالهم ويطلبوها حرام أيضاً . وتعطي الآية الكريمة الأوصياء على أموالهم الاهتمام الذي يستحقون وتسمح لهم أن يأخذوا من مال اليتيم المعروف مقابل المجهود الذي يبذلون وتحثهم على أن يفعلوا الخير ويحتسبوا عند الله تعالى ما يبذلون من مجهود في رعاية مصالح اليتامى . إن الآية الكريمة تسمح لمن كان من الأوصياء فقيراً أن يأكل من أموال اليتامى بالمعروف . قال الفقهاء :

(١) أنظر مثلاً تفسير ابن كثير ١/ ٤٥٢ .

(٢) تفسير الطبري ٤/ ١٦٩ .

(٣) المرجع السابق ٤/ ١٦٩ .

(٤) المرجع السابق ٤/ ١٦٩ .

(٥) المرجع السابق ٤/ ١٧٠ .

(٦) المرجع السابق ٤/ ١٧٠ .

له أن يأكل أقل الأمرين، أجرة مثله أو قدر حاجته^(١) أما من كان من الأوصياء غنيا فإن عليه أن يستعفف عن مد يده إلى مال اليتيم عند الله تعالى. فإذا دفع الأوصياء إلى اليتامى أموالهم فعلى الأوصياء أن يشهدوا على اليتامى بأنهم قد أخذوا أموالهم كاملة غير منقوصة، وحقوقهم تامة غير مبخوسة. ولما كانت الآية الكريمة تدور حول الأموال والحسابات فقد ختمت بالقول: ﴿وكفي بالله حسيا﴾ وفي ذلك تنبيه إلى أن هذه الحسابات البشرية بشأن أموال اليتامى وغير أموال اليتامى لا يعلمها على حقيقتها إلا الله تعالى فعلى الأوصياء بخاصة الناس بعامة أن يتقوا الله تعالى وأن يقولوا قولاً سديداً.

وإن الآية الكريمة السابعة تومئ إلى الميراث الذي جاءت آياته في سورة النساء وحدها وإلى أن الله سبحانه وتعالى قد خص كل وارث بحقه.

وإن الآية الكريمة الثامنة تقرر أنه إذا حضر قسمة الميراث أولو القربى واليتامى والمساكين والذين لا يرثون فإن على الورثة أن يعطوا هذه الفئات شيئاً مما تجود به نفوسهم وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً تطيب به نفوس أولئك المحتاجين.

وإن الآية الكريمة التاسعة تأمر الورثة بأن يخشوا الله تعالى^(٢) في ضعف اليتامى وتأمرهم بأن ينزلوا اليتامى منزلة ذرايعهم وبأن

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٣/١.

(٢) أنظر هنا مثلاً البحر المحيط ١٧٧/٣ بشأن مفعول جملة: «وليخش» المحذوف. وتفسير ابن عطية ٥٠٦/٣.

ينزلوا أنفسهم منزلة الأوصياء على ذراريهم . فكما أنهم يريدون للأوصياء على ذراريهم الضعفاء أن يراقبوا الله تعالى ويتقوه جل وعلا ، كذلك يجب على هؤلاء الأوصياء أن يراقبوا الله تعالى في ضعاف اليتامى وأن يتقوا الله تعالى فيهم وأن يقولوا قولا سديدا يرضي الله تعالى أولا وتطيب به نفوس اليتامى أخيرا .

وإن الآية الكريمة العاشرة تقرر أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون نار جهنم وسعيرها بمعنى شدة حرها^(١) .

وإنما عبرت الآية الكريمة بالأكل عن تبذير أموال اليتامى لأن الأكل أكثر ماتفق فيه الأموال التي يتم الحصول عليها بالحق وبالباطل . ولما كان أكل أموال اليتامى بالباطل يفضي بالآكلين إلى النار وبئس المصير والعياذ بالله ، فكأن آكلي أموال اليتامى بالباطل إنما يأكلون في بطونهم نارا . وإمعانا في التحذير من أكل أموال اليتامى بالباطل لا تستغني الآية الكريمة عن القول «في بطونهم» مع إمكان الاستغناء عنه ، وصحة الكلام بدونه ، خاصة وأن الطعام إنما يصير إلى البطن .

عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ و : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشيء من طعامه

(١) تفسير الطبري ٤ / ١٨٥ .

فيحبس له حتى يأكله أو يفسد . فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (١) :
﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير . وإن تخالطوهم
فإخوانكم . والله يعلم المفسد من المصلح . ولو شاء الله لأعتكم .
إن الله عزيز حكيم﴾ فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم
بشرابهم (٢) .

إن رب العزة يقول لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم إن
أصحابك يسألونك عن اليتامى قل لهم يامحمد إصلاح لهم في كل
الشؤون خير . وإن تخالطوهم فإنهم إخوانكم في الدين . وتشمل
هذه المخالطة المال سبب نزول الآية الكريمة ، كما تشمل المخالطة
العمل على تنمية ذلك المال والعشرة والنكاح وما إلى ذلك . وتقرر
الآية الكريمة أن الله تعالى يعلم المفسد من المصلح فاحذروه جل
وعلا ، ولو شاء الله تعالى إعناتكم (٣) وإيقاع المشقة بكم بمنعكم عن
المخالطة لفعل ولكن الله تعالى يريد بكم اليسر ولا العسر . إن الله
سبحانه وتعالى هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه (٤) .

ومن أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في اليتامى مايلي :
عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم إني أحرص (٥) حق الضعيفين : اليتيم والمرأة (٦) .

(١) سورة البقرة ٢٢٠ .

(٢) إنظر تفسير الطبري ٢/٢١٧ وأسباب النزول ١٠٣ .

(٣) البحر المحيط ٢/١٦٣ .

(٤) درسنا الآية الكريمة في : تأملات في سورة البقرة ١٢٦١-١٢٦٥ .

(٥) أحرص عن هذا الإثم : احذر من ذلك تحذيرا بليغا وأزجر عنه زجرا أكيدا .

(٦) سنن ابن ماجه ٢/١٣١٣ حديث رقم ٣٦٧٨ .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه . وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه^(١) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات . قيل : يارسول الله : وماهن ؟ قال : الشرك بالله . والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات^(٢) .

(١) سنن ابن ماجه ١٢١٣/٢ حديث رقم ٣٦٧٩ واختلف العلماء في درجة صحة هذا الحديث .
(٢) تفسير ابن كثير ٣٥٦/١ .

الخاتمة

بفضل من الله تعالى ونعمة ، دار حديثنا في الصفحات السابقة عن موضوع : الاسرة المسلمة في ضوء القرآن ، حول عدة مسائل تتعلق بالحث على بناء الأسرة المسلمة ، وبأخذ الحذر من مخططات الخصوم لهدم الأسرة المسلمة ، وبيعض الوسائل لحماية الذرية وبحماية عفاف الأسرة المسلمة ، وحماية حقوق الأسرة المسلمة من آباء وأمهات وأبناء ونساء ویتامی . ولما كانت السنّة النبویّة المطهّرة مبینةً للقرآن الکریم فقد کان اعتماد هذه الدراسة ، بفضل الله تعالى ، بعد القرآن الکریم على السنّة النبویّة المطهّرة اعتماداً کبیراً . والله تعالى نسأل أن نكون قد وقّقنا في هذا العمل كما نسأله جلّ وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الکریم وأن يتقبله ، إنّه جلّ وعلا أکرم مسؤول وأعظم مأمول . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

فهرست المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم
- * الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . تحقيق السيد أحمد صقر .
ذخائر العرب . دار المعارف بمصر ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .
- * ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم)
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر . تحقيق د . صلاح الدين المنجد .
دار الكتاب الجديد . بيروت . لبنان ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- * ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن)
- صيد الخاطر ، تصوير المكتبة السلفية . الخانجي ١٣٤٥هـ .
- * ابن حنبل (الإمام أحمد بن محمد)
- المسند شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر . الطبعة الرابعة .
مصورة عن طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- * ابن الخطيم (قيس)
- ديوان شعر . تحقيق وتعليق د . ناصر الدين الأسد . الطبعة الثانية .
بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- * ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي)

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .

تحقيق وتعليق : الرحالي الفاروقي ، عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ،
السيد عبد العال السيد إبراهيم ، محمد الشافعي صادق العناني ،
الطبعة الأولى . قطر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م .

* ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)

مقاييس اللغة . تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون . الطبعة
الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م حلي مصر .

* ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير)

تفسير القرآن العظيم . دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٣٨٨ هـ -
١٩٦٩ م .

* ابن ماجه (الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني)

سنن ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . تصوير دار الكتب
العلمية . بيروت ، لبنان .

* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)

لسان العرب . بيروت ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

* ابن هشام (عبد الملك)

السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الإبياري ، عبد
الحفيظ شلبي ، حلي ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م تصوير بيروت .

* أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان)

البحر المحيط . تصوير بيروت . بدون تاريخ .

* أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعب السجستاني الأزدي)

سنن أبي داود. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. تصوير المكتبة العصرية. صيدا، بيروت.

* أسد (محمد)

الاسلام على مفترق الطرق، ترجمة الدكتور عمر فروخ. الطبعة السابعة ١٩٧١م بيروت.

* باجودة (حسن محمد)

- تأملات في سورة آل عمران. من مطبوعات نادي جدة الأدبي الثقافي ١٤١٣هـ.

- تأملات في سورة الأحزاب. من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- تأملات في سورة الإسراء. القاهرة ١٩٧٨م.

- تأملات في سورة الأنعام (مخطوط).

- تأملات في سورة البقرة. دار مصر للطباعة ١٩٩٢م.

- تأملات في سورة الرعد. القاهرة ١٩٧٩م.

- تأملات في سورة الفرقان.

القاهرة ١٩٧٧م ومكة المكرمة ١٤١٤هـ.

- تأملات في سورة المائدة. من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤١٤هـ.

- تأملات في سورة محمد صلى الله عليه وسلم . الطبعة الثانية . مكة المكرمة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- تأملات في سورة النازعات . الطبعة الثالثة . مكة المكرمة ١٤١١هـ .
- تأملات في سورة النساء (مخطوط) .
- أجوبة على أسئلة ، رابطة العالم الاسلامي ١٤١٢هـ .
- جمهورية المالديف ، المنتجع والمصيف (مخطوط)
- معاملة الإسلام للأسرى
- (مجلة) رسالة المسجد العدد الرابع السنة الرابعة ربيع الأول ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- دار الكتاب الإسلامي القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- من مظاهر إعجاز آية من آيات الأحكام .
- مجلة المنهل العدد ٥٠١ المجلد ٥٤ رجب ١٤١٣هـ - يناير ١٩٩٣م .
- * البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) .
- كتاب الصحيح . كتاب الشعب ١٣٧٨هـ .
- * بوكاي (موريس)
- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . دار المعارف بمصر ١٩٧٩م .

- * الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة)
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. تصوير المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة. بدون تاريخ.
- الشمائل المحمدية. إخراج محمد عفيف الزعبي. الطبعة الأولى. جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- * الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)
- المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت. لبنان. بدون تاريخ.
- * الزركلي (خير الدين)
- الاعلام. الطبعة الخامسة. بيروت ١٩٨٠م.
- * الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)
- الكشاف. حلب ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- * سابق (السيد) فقه السنة. الطبعة الأولى. بيروت. ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- * السيوطي (جلال الدين)
- تفسير الجلالين. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة. الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. المدينة المنورة.
- * شمتز (باول)
- الاسلام قوة الغد العالمية. ترجمة الدكتور محمد شامة. القاهرة ١٩٧٤م.

* صافي (محمود)

الجدول في إعراب القرآن وصرفه . تصنيف محمود صافي مراجعة
لبنه الحمصي

طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر .

دار الرشيد دمشق بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

* الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)

جامع البيان في تفسير القرآن . بولاق ١٣٢٩هـ .

* العكبري (أبو البقاء عبدالله بن الحسين)

التبيان في إعراب القرآن . تحقيق علي محمد البجاوي حلبي
١٩٧٦م .

* الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)

معاني القرآن . تصوير عالم الكتب . بيروت . الهيئة المصرية العامة
للكتاب ١٩٨م الطبعة الثانية .

* القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري)

الجامع لأحكام القرآن . دار الشعب . القاهرة . بدون تاريخ .

* الفيروز ابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)

القاموس المحيط .

* مالك (الإمام مالك بن أنس)

الموطأ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي .
تصوير بيروت .

- * مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري)
كتاب الصحيح بشرح النووي . المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩ هـ .
- * المودودي (أبو الأعلى)
الحجاب . القاهرة ١٩٧٧ م .
- حركة تحديد النسل . بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- * الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري)
مجمع الأمثال . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة
١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- * الندوي (أبو الحسن)
النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم . القاهرة ١٩٧٥ م .
- * الندوي (السيد سليمان)
الرسالة المحمدية . الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م دمشق . نقله
من اللغة الأوردية محمد ناظم الندوي . مدير الجامعة العباسية في
بهاولبور .
- * النووي (يحيى بن شرف)
رياض الصالحين . تصوير بيروت . بدون تاريخ .
- * النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري)
أسباب النزول . تحقيق السيد أحمد صقر . الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ -
١٩٨٧ م . دار القبلية للثقافة الإسلامية . جدة مؤسسة علوم القرآن .
سوريا ، دمشق ، بيروت .
- * دائرة المعارف البريطانية . طبعة عام ١٩٧٥ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٥
(١) تمهيد.....	٩
(٢) الحث على بناء الأسرة المسلمة.....	٢٧
(٣) أخذ الحذر من مخططات الخصوم لهدم الأسرة المسلمة.....	٣٧
(٤) بعض الوسائل لحماية الذرية.....	٥١
«أ» تحريم الزواج بالمشركة والمشرک وتفضيل الأمة	
والعبد المؤمنین.....	٥٣
«ب» الغاية من الزواج الذرية.....	٥٨
«ج» العناية بالجنين.....	٦١
«د» العناية بالمولود.....	٦٢
«هـ» الرضا بما قسم الله تعالى.....	٦٥
«و» البيئة الصالحة التقية.....	٦٨
(٥) حماية عفاف الأسرة المسلمة.....	٧١

٧٣.....	«أ» لباس الجلال والجمال والكمال
٨١.....	«ب» العفاف وعدم إبداء النساء زينتھن والحجاب
٩٥.....	«ج» الاستئذان
٩٩.....	(٦) حماية حقوق الأسرة المسلمة
١٠١.....	«أ» حقوق الآباء والأمهات
١٠٩.....	«ب» حقوق الأبناء
١١٧.....	«ج» حقوق النساء
١٣٨.....	«د» حقوق اليتامي
١٥٣.....	الخاتمة
١٥٥.....	فهرست المصادر والمراجع
١٦٢.....	فهرست الموضوعات

صدر من هذه السلسلة

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة ----- الدكتور حسن باجودة
- ٢ - الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٣ - الرسول في كتابات المستشرقين ----- الأستاذ نذير حمدان
- ٤ - الاسلام الفاتح ----- الدكتور حسين مؤنس
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ----- الدكتور حسان محمد مرزوق
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن ----- الدكتور عبد الصبور مرزوق
- ٧ - التخطيط للدعوة الاسلامية ----- الدكتور محمد علي جريشة
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية ----- الدكتور أحمد السيد دراج
- ٩ - التوعية الشاملة في الحج ----- الأستاذ عبد الله بوقس
- ١٠ - الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره ----- الدكتور عباس حسن محمد
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم ----- د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل ----- الأستاذ محمد طاهر حكيم
- ١٣ - مولود على الفطرة ----- الأستاذ حسين أحمد حسون
- ١٤ - دور المسجد في الاسلام ----- الأستاذ محمد علي مختار
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم ----- الدكتور محمد سالم محيسن
- ١٦ - البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام ----- الأستاذ محمد محمود فرغلي
- ١٧ - حقوق المرأة في الإسلام ----- د. محمد الصادق عفيفي
- ١٨ - القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها ----- د. شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الاسلامية ----- الدكتور عبد الستار السعيد
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها ----- الدكتور علي محمد العماري
- ٢٢ - حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم ----- الدكتور أبو اليزيد العجمي
- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ----- الدكتور عدنان محمد وزان
- ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة ----- معالي عبد الحميد حمودة
- ٢٦ - تربية النشء في ظل الاسلام ----- الدكتور محمد محمود عمارة
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي ----- د. محمد شوقي الفنجرى
- ٢٨ - وحي الله ----- د. حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩ - حقوق الانسان وواجباته في القرآن ----- حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠ - المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ----- الأستاذ محمد عمر القصار

- ٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٣٢- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج----- الدكتور السيد رزق الطويل
- ٣٣- الاعلام في المجتمع الاسلامي----- الأستاذ حامد عبد الواحد
- ٣٤- الالتزام الديني منهج وسط----- عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني
- ٣٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي----- الدكتور حسن الشرقاوي
- ٣٦- الاسلام والعلاقات الدولية----- د. محمد الصادق عفيفي
- ٣٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية----- اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
- ٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها----- الدكتور محمود محمد بابلي
- ٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث----- الدكتور علي محمد نصر
- ٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين----- د. محمد رفعت العوضي
- ٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام----- د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
- ٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٤٥- الطريق إلى النصر----- الأستاذ محمد عبد الله فودة
- ٤٦- الاسلام دعوة حق----- الدكتور السيد رزق الطويل
- ٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية----- د. محمد عبد الله الشرقاوي
- ٤٨- دحض مفتريات----- د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
- ٤٩- المجاهدون في فطان----- الأستاذ محمد ضياء شهاب
- ٥٠- معجزة خلق الانسان----- د. نبيه عبد الرحمن عثمان
- ٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية----- د. سيد عبد الحميد مرسى
- ٥٢- ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي----- الأستاذ أنور الجندي
- ٥٣- الشورى سلوك والتزام----- لدكتور محمود محمد بابلي
- ٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة----- أسماء عمر فدعق
- ٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة----- الدكتور أحمد محمد الخراط
- ٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٥٧- كيف تكون خطيباً----- الشيخ عبد الرحمن خلف
- ٥٨- الزواج بغير المسلمين----- الشيخ حسن خالد
- ٥٩- نظرات في قصص القرآن----- محمد قطب عبد العال
- ٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات----- الدكتور السيد رزق الطويل

- ٦١- بين علم آدم والعلم الحديث----- الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
- ٦٢- المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان----- د. محمد الصادق عفيفي
- ٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]----- الدكتور رفعت العوضي
- ٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد----- الأستاذ عبد الرحمن حسن حبيكة
- ٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١]----- الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشريعة----- الأستاذ عبد الغفور عطار
- ٦٧- العدل والتسامح الاسلامي----- الأستاذ أحمد المخزنجي
- ٦٨- القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٦٩- الحريات والحقوق الاسلامية----- محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
- ٧٠- الانسان الروح والعقل والنفس----- د. نبيه عبد الرحمن عثمان
- ٧١- كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية----- الدكتور شوقي بشير
- ٧٢- الاسلام وغزو الفضاء----- الشيخ محمد سويد
- ٧٣- تأملات قرآنية----- الدكتورة عصمة الدين كركر
- ٧٤- الماسونية سرطان الأمم----- الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
- ٧٥- المرأة بين الجاهلية والاسلام----- الأستاذ سعد صادق محمد
- ٧٦- استخلاف آدم عليه السلام----- الدكتور علي محمد نصر
- ٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢]----- محمد قطب عبد العال
- ٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢]----- الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٧٩- كيف ندرس القرآن لأبنائنا----- الأستاذ سراج محمد وزان
- ٨٠- الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ----- الشيخ أبو الحسن الندوي
- ٨١- كيف بدأ الخلق----- الأستاذ عيسى العرباوي
- ٨٢- خطوات على طريق الدعوة----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين----- الأستاذ صالح محمد جمال
- ٨٤- المبادئ الاجتماعية في الاسلام----- محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
- ٨٥- التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام----- د. ابراهيم حمدان علي
- ٨٦- الحقوق المتقابلة----- د. عبد الله محمد سعيد
- ٨٧- من حديث القرآن على الانسان----- د. علي محمد حسن العماري
- ٨٨- نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة----- محمد الحسين أبو سم
- ٨٩- أسلوب جديد في حرب الاسلام----- جمعان عايض الزهراني
- ٩٠- القضاء في الاسلام----- سليمان محمد العيضي

- ٩١ - دولة الباطل في فلسطين ----- الشيخ القاضي محمد سويد
- ٩٢ - المنظور الاسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل ----- د. حلمي عبد المنعم جابر
- ٩٣ - التهجير الصيني في تركستان الشرقية ----- رحمة الله رحمتي
- ٩٤ - الفطرة وقيمة العمل في الاسلام ----- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- ٩٥ - اوصيكم بالشباب خيراً ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٩٦ - المسلمون في دوائر النسيان ----- أسماء أبو بكر محمد
- ٩٧ - من خصائص الاعلام الاسلامي ----- محمد خير رمضان يوسف
- ٩٨ - الحرية الاقتصادية في الاسلام ----- د. محمود محمد بابللي
- ٩٩ - من جماليات التصوير في القرآن الكريم ----- الأستاذ محمد قطب عبد العال
- ١٠٠ - مواقف من سيرة الرسول ----- الأستاذ محمد الأمين
- ١٠١ - اللسان العربي بين الانحسار والانتشار ----- الأستاذ محمد حسنين خلاف
- ١٠٢ - اخطار حول الاسلام ----- الأستاذ هاشم عقيل عزون
- ١٠٣ - صلاة الجماعة ----- د. عبد الله محمد سعيد
- ١٠٤ - المستشرقون والقرآن ----- د. اسماعيل سالم عبد العال
- ١٠٥ - مستقبل الاسلام بعد سقوط الشيوعية ----- الأستاذ أنور الجندي
- ١٠٦ - الاقتصاد الاسلامي هو البديل ----- د. شوقي أحمد دنيا
- ١٠٧ - توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ ----- عبد المجيد أحمد منصور
- ١٠٨ - المخدرات مضارها على الدين والدنيا ----- الدكتور ياسين الخطيب
- ١٠٩ - في ظلال سيرة الرسول ﷺ ----- الأستاذ أحمد المخزنجي
- ١١٠ - أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ----- محمود محمد كمال عبد المطلب
- ١١١ - زينة المرأة بين الاباحية والتحريم ----- د. حياة محمد علي عثمان خفاجي
- ١١٢ - التربية الاسلامية كيف نرغبها لأبنائنا ----- د. سراج محمد عبد العزيز وزان
- ١١٣ - النموذج العصري للجهاد الأفغاني ----- عبد رب الرسول سياف
- ١١٤ - المسلمون حديث ذو شجون ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١١٥ - الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم ----- ناصر عبد الله العمار
- ١١٦ - المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات ----- نور الاسلام بن جعفر علي آل فايز
- ١١٧ - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ----- د. جابر المتولي تميمية
- ١١٨ - اللباس في الاسلام ----- أحمد بن محمد المهدي
- ١١٩ - أسس النظام المالي في الاسلام ----- الأستاذ محمد أبو الليث
- ١٢٠ - المستشرقون والقرآن [٢] ----- د. اسماعيل سالم عبد العال

- ١٢١- الإسلام هو الحل القاضي الشيخ محمد سويد
- ١٢٢- نظرات في قصص القرآن الأستاذ محمد قطب عبد العال
- ١٢٣- من حصاد الفكر الإسلامي د. محمد محي الدين سالم
- ١٢٤- خواطر اسلامية الأستاذ ساري محمد الزهراني
- ١٢٥- الإسلام ومكافحة المخدرات الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- ١٢٦- د روس تربوية نبوية الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
- ١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وأفاق المستقبل د. عبد الحليم عويس
- ١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي د. مصطفى عبد الواحد
- ١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول] الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني] الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى عبد الباسط عز الدين
- ١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة د. سراج عبد العزيز الوزان
- ١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديث الأستاذ ابراهيم اسماعيل
- ١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام د. حسن محمد باجودة
- ١٣٥- منهاج الداعية الأستاذ أحمد أبو زيد
- ١٣٦- في جنوب الصين الشيخ محمد بن ناصر العبودي
- ١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة د. شوقي أحمد دنيا
- ١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل د. محمود محمد بابلي
- ١٣٩- سقوط الأيديولوجيات الأستاذ أنور الجندي
- ١٤٠- الطفل في الإسلام الأستاذ محمود الشرقاوي
- ١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها فتحي بن عبد الفضيل بن علي
- ١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي د. حياة محمد علي جفاجي
- ١٤٣- الإسلام والمسلمون في ألبانيا د. السيد محمد يونس
- ١٤٤- أحمد محمد جمال (رحمه الله) مجموعة من الأساتذة الكتاب
- ١٤٥- الهجوم على الإسلام الأستاذ أحمد أبو زيد
- ١٤٦- الإسلام والنظام العالمي الجديد د. حامد أحمد الرفاعي
- ١٤٧- من جماليات التصوير في القرآن الكريم محمد قطب عبد العال
- ١٤٨- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي زيد بن محمد الرماني
- ١٤٩- الماسونية والمرأة جمعان بن عايض الزهراني
- ١٥٠- جوانب من عظمة الإسلام اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

هذا الكتاب

تشهد مدينة بكين عاصمة الصين الشعبية مؤمراً عالمياً عن المرأة دعت إليه الأمم المتحدة وهو من المؤتمرات واللقاءات التي حرص على عقدها الأمم المتحدة انفاذاً لسياسة معينة ترمي من ورائها إلى الوصول إلى أهداف ومرامي تريد تحقيقها فيما يسمى بالعالم الثالث وهو العالم الذي تمثل جزءاً كبيراً منه الشعوب المسلمة .. وسيتم كالعادة في أمثال هذه المؤتمرات إثارة حقوق المرأة عامة ومن ضمنها المرأة المسلمة وعندما نعلم أن موضوع المرأة المسلمة مطروح بشكل مرتب على مائدة الغرب ووسائل إعلامه ينفذ ويسعى من خلاله إلى استمرارية التشويه والتضليل التي يمارسها ضد الإسلام كونه عقيدة وديناً وحضارة وان هذا الغرب لم ينظر نظرة حيادية تجاه الإسلام . بل تراه يسعى إلى محاربة الإسلام في كل مجال ويعتبره العدو الأول كما صرح بذلك عدد من المسؤولين في العالم الغربي . ومنهم وبلي كلاوس الأمين العام للحلف الأطلسي ندرك أن مؤتمر بكين سيكون نافذة أخرى يعمل من خلالها الغرب على استمرارية التشويش والتلفيق على مضامين حياة المرأة ليصل إلى هدفه الأساسي وهو محاربة الإسلام .

وهذا الكتاب محاولة من المحاولات المطروحة اليوم للتعريف بما للأسرة المسلمة من حقوق ورعاية جاء بها الإسلام ورسخ مفاهيمها ومضامينها في حضارته ومدنيته طبقاً لما جاء في الكتاب والسنة .

لقد رعى الإسلام الأسرة المسلمة رعاية كاملة وأحاطها باهتمامه حيث فاق هذا الاهتمام وتلك الرعاية كل ما قررته حتى اليوم نظم الغرب وحضارته . فما أعطاه الإسلام للأسرة وما منحه لأفرادها خاصة المرأة شيء عظيم .

محمد محمود حافظ